عمر "محمد فؤاد" أبو الرُّب

سلسلة أقوام وقصص من القرآن

الجزء الرابع

رمسيس السادس هو فرعون موسى

ورمسيس الثالث هو فرعون الاضطهاد

ديسمبر 2020

المقترح (حسب القرائن التي سنستعرضها هنا) أن اضطهاد بني إسرائيل قد بدأ في عهد رمسيس الثالث منذ حوالي عام 1186 ق.م، وأن ولادة موسى عليه السلام كانت في حوالي منتصف عهد رمسيس الثالث (1171 ق.م)، وقد خرج موسى إلى مدين في أول عهد رمسيس الخامس (1144 ق.م)، ورجع إلى مصر في نهاية حكم رمسيس السادس (1134 ق.م)، وخرج وقومه من مصر في عام 1136 ق.م. وهذا يتضمن أن كلمة "يسرئار" الموجودة في لوحة مرنبتاح لا تتعلق ببني إسرائيل. وقد وضعنا في الكتاب السيناريو المقترح لقصة موسى ومكان العبور في "خليج العقبة".

جميع الحقوق محفوظة

نسخة إلكترونية دون فواصل

omr-mhmd.yolasite.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المقدمة 3

الفصل الأول – خطوات التحليل والاستنتاج 4

الفصل الثاني – القصة التاريخية لرمسيس الثالث ومن بعده 7

الفصل الثالث – القرائن الدالة أن فرعون الخروج هو رمسيس السادس 15

الفصل الرابع – قصة موسى عليه السلام اعتمادا على الاستنتاجات المقترحة 23

الفصل الخامس – مكان العبور والقصة المتعلقة به 33

الفصل السادس – من هو قارون؟ 43

الفصل السابع – من هو هامان؟ 45

الفصل الثامن – كلمة يسرئار في لوحة مرنتباح 47

الفصل التاسع – مومياء خعمواست 56

المراجع 60

مؤلفات سابقة للمؤلف 62

المقدمة

ضمن القرائن التي سنستعرضها في هذا الكتاب فإن غلبة الظن أن رمسيس الثالث هو فرعون الاضطهاد، ورمسيس السادس هو فرعون موسى. وفي هذه الحالة فإن موسى عليه السلام قد وُلد في حوالي منتصف عهد رمسيس الثالث عام 1171 ق.م.

وفي الفصل الأول سنقوم بوضع الخطوات في التحليل التي أدَّت للوصول إلى هذه الاستنتاجات.

وفي الفصل الثاني سنضع القصة التاريخية المعتمدة عند المؤرخين للأحداث بين رمسيس الثاني (في الأسرة 19) إلى رمسيس السادس (في الأسرة 20).

وفي الفصل الثالث سنستعرض القرائن الدالة على صحة استنتاجاتنا والتي سنبنيها على المعلومات المُقَدَّمَة في الفصل الثاني.

وفي الفصل الرابع سنتحدث عن السيناريو الممكن لقصة موسى عليه السلام بناء على كل ما سبق.

وفي الفصل الخامس سنتحدث عن مكان العبور والقصة المتعلقة بالأحداث التي وقعت هناك.

وفي الفصلين السادس والسابع سنتحدث عن المعلومات المتوفرة عن قارون وهامان.

وفي الفصل الثامن سنتحدث عن لوحة مرنبتاح والكلمة التي يَظُنُّ بعض اللأثريِّين أنها تتعلق ببني إسرائيل، والتي نظن أنها ليست كذلك.

عمر محمد. ديسمبر 2020
omar.robb@yahoo.com
omr.mhmd.yolasite.com

ملاحظة: الصورة في الغلاف هي لموميا‌ء رمسيس السادس (المرجع: Wiki-RVIPic).

الفصل الأول – خطوات التحليل والاستنتاج

سنضع هنا خطوات التحليل والتي أدَّت للوصول إلى الاستنتاجات المقترحة. والفائدة في هذا الفصل أنها ستضع عدة قرائن تؤدي في النهاية إلى هذه الاستنتاجات.

في عام 2007 قُمتُ بوضع كتاب "النهضة والذكاء الجماعي" (والذي نَشرتُه عام 2011) وقد تَعرضت فيه لموضوع فرعون موسى (كمثال في استخدام التعارضات في عمليات التحليل المنطقي للخروج بالتفسيرات الممكنة). وقد وضعت وقتها المعضلة (والتي سنسميها هنا بـ معضلة رمسيس) وهي تتألف من الحدود الأربعة التالية:

1- **موسى يجب أن يكون في عهد رمسيس الثاني أو بعده.**

وذلك لأنَّ فلسطين كانت واقعة تحت الحكم الفرعوني المباشر في عهد رمسيس الثاني (ومن كان قبله)، بل إنَّ رمسيس الثاني قام بمحاربة الحثِّيين (حكام الأناضول ذلك الوقت) في معركة قادش الشهيرة قُرْبَ مدينة حمص.

2- **موسى يجب أن يكون في عهد مرنبتاح (خليفة رمسيس الثاني) أو قبله.**

وهذا بسبب اكتشاف لوحة حجرية من عهد مرنبتاح (وتم تسميتها بـ لوحة مرنبتاح)، وهي قصيدة شعرية يَذْكُر فيها مرنبتاح انتصاراته في ليبيا وكنعان، ويَذْكُرُ فيها كذلك شعب إسرائيل، وأن بذرتهم (نسلهم) لم تعد موجودة (وسنشرح هذه اللوحة بالتفصيل في الفصل الثامن). وبالتالي لا يُمكن أن يكون موسى بعد عهد مرنبتاح.

3- **لا يمكن أن يكون رمسيس الثاني هو فرعون موسى.**

فقد مات رمسيس الثاني في التسعين من عمره، وقد تبين بعد الكشف على مومياته أنه كان مصابا بالتهابات المفاصل وآلام الأسنان. ويُستبعد تماما ضمن هذه الحالة أن يكون عند الرجل القدرة والطاقة للقيام بأعباء الحكم ومقارعة الآخرين في أواخر حياته.

4- **لا يمكن أن يكون مرنبتاح هو فرعون موسى.**

والسبب هو في لوحة مرنبتاح السابقة؛ فوجودها يتطلب خروج بني إسرائيل من مصر قبل عهد مرنبتاح. وكذلك فإنه من المستبعد أن يكون مرنبتاح قادرا على الاضطلاع بأعباء الحكم بشكل يومي حيث إنه قد مات في السبعين من عمره، وتبين بعد الكشف على مومياته أنه كان مصابا بالكثير من الأوجاع.

وهنا ندخل في معضلة.

وقد اقترحت في الكتاب السابق أنه كان هناك فرعون آخر قد حكم مدة بسيطة بين رمسيس الثاني ومرنبتاح، وأنه تم مسح اسمه وأخباره وسجلاته من التاريخ بالضبط كما فَعلها قبلهم الفرعون حورمحب (بـ 100 سنة) عندما قام بمحو اثنين ممن كانا قبله: "آي" و"توت.عنخ.أمون". لكن عندما ننظر في تاريخ رمسيس الثاني ومرنبتاح فإننا نكاد نكون على يقين أنه لا يوجد حاكم بين رمسيس الثاني ومرنبتاح.

وانتبهت في 2019 لأحد لقاءات زاهي حواس (وزير الدولة السابق لشئون الآثار) يشرح فيها لقب "فرعو" أنها ظهرت في الأسرة الحديثة، وأنها تعني "القصر العظيم" (المرجع: حواس–أ) وأنها لم تكن لقبا للحاكم وقت رمسيس الثاني. وهذا الأمر أثار الاهتمام، وبدأت أنظر فيه، وتبين أن لقب الفرعون كان أشبه بقولنا "البيت الأبيض" ونقصد هنا الرئيس الأمريكي، أو قولنا: "الكرملين" ونقصد: الرئيس الروسي، أو "الباب العالي" ونقصد الخليفة العثماني.

وهناك قول لم أستطع أن أجد له مصدرا أكاديميا أن مرنبتاح كان أول ملك لمصر يُلقب بـ "فرعون" (المرجع: Wiki– Pharaoh)، ولكن الاجماع في المراجع أن لقب فرعون قد ظهر جليا في أواخر الأسرة 19 (والتي منها مرنبتاح) والأُسر التي جاءت بعدها.

ثم انتبهتُ بعدها للأمير "خعمواست" بن رمسيس الثاني، وقد كانت شخصية مميزة: فهو الابن الرابع لرمسيس، وقد تولَّى منصب الكاهن الأكبر وعمره 18 سنة، ويبدو أنه كان المسؤول عن الإنشاءات الضخمة للمعابد. والثابت أنه قد رمَّم الآثار القديمة في البلاد، ولهذا تم وصفه أنه أول أثري مصري في التاريخ (The first) Egyptologist. والثابت كذلك أنه كان مولَعًا جدا في دراسة السحر، وقد بقيت ذكرى خعمواست مشهورة في الثقافة القبطية؛ فهو "الساحر ساتني" وله قصص مشهورة حتى اللحظة في الأساطير والأدبيات القبطية.

وعندما وصل خعمواست إلى سن 52 سنة توفَّى أخوه ولي العهد، فاستلم خعمواست منصب ولاية العهد، وكان عُمر والده (رمسيس الثاني) وقتها 74 سنة. ونستطيع القول بكل ثقة إنَّ رمسيس الثاني وقتها لم يكن قادرا (بحكم السن) على الاضطلاع بأعباء الحكم اليومية، وأن الحاكم الحقيقي للبلاد وقتها كان خعمواست.

وقد كان موضوع خعمواست مثيرا للانتباه، وبدأت أقتنع أن خعمواست هو فرعون موسى، وأن الآية القرآنية لم تكن تتحدث عن ملك، وإنما عن الحاكم الحقيقي للبلاد والمُلَقَّب بشكل غير رسمي بـ "فرعون" والتي يُمكن أن تعني وقتها "مدير القصر".

وعندما بدأت أجمع المعلومات في هذا الموضوع فقد تعرضت لمعضلتين لا يمكن تجاوزهما:

1- قوله تعالى على لسان فرعون: " وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (الزخرف 43). وهذه جملة لا يمكن أن يقولها ولي عهد في حياة أبيه.
2- قوله تعالى على لسان فرعون: " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي " (القصص 38). وهذه كذلك لا يمكن أن يقولها ولي عهد في حياة أبيه.

وبالتالي أصبح موضوع خعمواست خارج البحث.

ولكن هناك معضلة ثالثة انتبهنا لها (وذلك أثناء دراسة موضوع خعمواست)؛ وهي أن الثابت الواضح في التاريخ أن فلسطين بقيت تحت الحكم الفرعوني العسكري المباشر حتى عهد رمسيس السادس.

وهذا الأمر لا يتوافق مع الحد الثاني في معضلة رمسيس (موسى يجب أن يكون في عهد مرنبتاح أو قبله)، إذ لا يمكن أن يكون موسى قد خرج قبل عهد مرنبتاح لأنه لا يوجد أي ذكر أو إشارة تفيد أن بني إسرائيل قد تواجهوا (بعد خروجهم من مصر) مع الحاميات المصرية في فلسطين أو خضعوا لها.

وهنا نجد أن معضلة رمسيس تتناقض مع الوقائع التاريخية، والحل الوحيد هو أن نقول إن معضلة رمسيس فيها خطأ. والخطأ الوحيد الممكن في هذه المعضلة هو الحد الثاني وخصوصا فيما يتعلق بلوحة مرنبتاح.

وعند النظر بعمق للمراجع المتعلقة بلوحة مرنبتاح نجد أن هناك خلافا فيها: فالعلماء الغربيون مقتنعون أن النص يتعلق ببني إسرائيل، في حين أن بعض علماء الآثار في مصر يُشيرون لاحتمال آخر: وهو أن النص لا يتعلق بـ إسرائيل وإنما بـ "يزرعيل" وهي التسمية الكنعانية لـ "مرج بني عامر" في شمال فلسطين (راجع: ويكي–عامر، "فلسطين في الذاكرة"). وينجح هذا التفسير في حل معضلة رمسيس السابقة والتي ينتج عنها أن فرعون موسى يجب أن يكون بعد عهد مرنبتاح.

وضمن الدراسة التاريخية فإن فلسطين كانت تحت الحكم الفرعوني منذ عهد تحتمس الثالث (الأسرة 18) إلى عهد رمسيس السادس (الأسرة 20)، وأن الحاميات المصرية في فلسطين قد انسحبت في عهد رمسيس السادس أو بعده بقليل، كما سنشرح بالتفصيل في الفصل التالي.

ونستطيع أن نقول وبكل ثقة أنه لا يمكن لفرعون موسى أن يكون قبل الأسرة 20، وذلك لأن فلسطين بأكملها كانت تحت الحكم العسكري المباشر. ونستطيع أن نقول وبكل ثقة أنه لا يمكن أن يكون فرعون موسى ضمن الأسرة 21 والتي بدأت بتاريخ 1078 ق.م؛ وذلك لأن مملكة بني إسرائيل (بقيادة طالوت – Saul) قد ظهرت حوالي ذلك التاريخ. وبالتالي نستطيع القول وبكل ثقة إن فرعون موسى يجب أن يكون في عهد الأسرة العشرين.

وأكثر فرعون مرشح أن يكون فرعون موسى هو "رمسيس السادس".

وفي الفصل التالي سنشرح التاريخ المُعتمد للأسرة العشرين، وفي الفصل الثالث سنضع القرائن (بناء على المعلومات المُقَدَّمَة في الفصل الثاني) التي تدل أن رمسيس السادس هو فرعون موسى، وفي الفصل الرابع سنقوم بوضع السيناريو الممكن لقصة سيدنا موسى عليه السلام اعتمادا على كل ما سبق.

الفصل الثاني – القصة التاريخية لرمسيس الثالث ومن بعده

سنشرح هنا القصة التاريخية لرمسيس الثالث ورمسيس السادس. ولكن من الضروري أولا أن نبدأ بشرح موضوع "كارثة العصر البرونزي" (Late Bronze Age collapse) والتي لها علاقة وثيقة بالقصة التاريخية التي سنسردها:

لقد حدثت حالة جفاف شديدة وغير عادية ومفاجئة في منطقة الشرق الأوسط في نهاية العصر البرونزي بين حوالي سنة 1200 إلى 1150 ق.م. وأسباب هذا الجفاف غير واضحة تماما إلا أن البعض يشير إلى البركان هيكلا 3 (Hekla 3) الذي ثار في آيسلندا حوالي ظهور الكارثة البرونزية، وأدَّى إلى اضطراب المناخ لعدة سنوات. ومهما كانت أسباب هذا الجفاف إلا أن عواقبه كانت "كارثية"؛ فقد سقطت حضارات ضخمة حول البحر الأبيض المتوسط:

فقد أدى انتشار الجفاف على عموم المعمورة إلى دفع الناس للتقاتل فيما بينهم وبدرجة لم تكن الحضارات قادرة على الإحاطة بها، وعلى إثر ذلك انهارت الامبراطورية الحثية التي كانت تحكم تركيا وشمال سوريا، وسقطت الحضارة الإغريقية القديمة في اليونان، وبدأ القراصنة (الذين تم تسميتهم بـ "شعوب البحر") الإغارة على سواحل البحر الأبيض المتوسط، وتدمرت معظم المدن الكبري في هذه السواحل من غزة إلى اليونان. وكانت هناك محاولات جادة من "شعوب البحر" للإغارة على مصر واحتلالها. وبدأت هذه المحاولات والغارات منذ عهد مرنبتاح،، وقد ثبت أمامهم. ولكن هذه الغارات لم تتوقف، بل بدأت تلك الشعوب التحالف مع القبائل الليبية لاحتلال مصر. وكانت المعارك مستمرة حتى مجيء رمسيس الثالث الذي استطاع الدفاع عن مصر بكل ذكاء وحزم، واستطاع في النهاية أن يتوافق مع فرقة من شعوب البحر (والذين كان اسمهم الفلستينيين) وأقطعهم منطقة في جنوب كنعان (وربما تكون غزة) على أن يكونوا تحت التابعية الفرعونية، ومن اسم هؤلاء تم تسمية المنطقة برمتها "فلسطين". وهؤلاء على الأغلب هم الذين حاربهم طالوت في أجيال لاحقة كما هي القصة في القرآن.

ولنضع الآن الأحداث الرئيسية على خط الزمن وبعدها سنتعمق في القصة التاريخية. وسنضع هنا تقويمين: "أ" وهو التقويم الميلادي، و"ب" وهو تقويم سنبدأه من أحداث تاريخية محددة، والهدف منه هو تسهيل الإحساس بالزمن.

أ(ق.م)	ب	الملاحظات
1303	**0**	ولادة رمسيس الثاني وسنبدأ التقويم "ب" من هذه السنة.
1279	24	تولي رمسيس الثاني الحكم.
1274	29	معركة قادش في بلاد الشام قرب مدينة حمص، وقد انتصر فيها رمسيس الثاني على الحثيين، وعلى إثرها استطاع رمسيس الثاني تثبيت حكمه في فلسطين دون منازع.
1275	30	ولادة مرنبتاح.
1213	90	وفاة رمسيس الثاني عن عمر يناهز التسعين، وقد حكم 66 سنة. وتولي ابنه

	0	مرنتباح الحكم. وهنا سنبدأ التقويم "ب" من هذه السنة.
1210	3	بدايات ظهور آثار كارثة العصر البرونزي على مصر وذلك من خلال محاولات شعوب البحر ضرب وتدمير الساحل المصري.
1203	10	وفاة مرنبتاح عن عمر يناهز السبعين سنة، وقد حكم 10 سنوات. وقد قضى معظم حكمه في حروب مع ليبيا والنوبة وبلاد الشام. وقد تولى الحكم بعده ابنه سيتي الثاني.
1197	16	وفاة سيتي الثاني. وقد حكم 6 سنوات. وقد كان عهده مليئا بالمؤامرات والصراعات الداخلية والتي أدت إلى حرب أهلية في البلاد. وتولى الحكم بعده سيبتاح بن مرنبتاح.
1191	22	وفاة سيبتاح، وقد حكم 6 سنوات. وتولى الحكم بعده الملكة توسرت بنت مرنبتاح.
1189	24	وفاة توسرت إثر حرب أهلية وقد حكمت مدة سنتين. وبوفاتها انتهت الأسرة التاسعة عشرة الفرعونية وبدأت الأسرة العشرين بقيادة ستناختي.
1186	27	وفاة ستناختي وقد حكم ثلاث سنوات قضى معظمها في التصدي للمشاكل
	0	السياسية العاصفة في البلاد. وتولي الحكم بعده ابنه رمسيس الثالث. وهنا سنبدأ التقويم "ب" من هذه السنة.
1198	12	انتهاء كارثة العصر البرونزي بالنسبة للأراضي المصرية. وشاع الأمن في مصر وقتها واستقرت أمورها.
1155	31	اغتيال رمسيس الثالث ضمن مؤامرة داخلية،، وقد حكم 31 سنة. وتولى الحكم بعده ابنه رمسيس الرابع. وقد كان عهد رمسيس الثالث مليئا بالحروب والمقاومة تجاة الغزاة وخصوصا شعوب البحر والذين كان اسمهم "الفلستينيين". وقد استقرت الأوضاع في مصر وعم الأمن فيها منذ عام 12 من حكم رمسيس الثالث وحتى بداية رمسيس الخامس.
1149	37	وفاة رمسيس الرابع وقد حكم ست سنوات. وتولي الحكم بعده ابنه رمسيس الخامس.
1145	41	وفاة رمسيس الخامس، وقد حكم أربع سنوات. وقد تعرضت مصر وقتها لاعتداءات كثيرة من اللصوص وقطاع الطرق. وقد كان مصابا بالجدري قبل وفاته، إلا أنه توجد تقارير تفيد أن سبب الوفاة جاء من ضربة على الرأس بآلة حادة ولذلك لوجود فتحة (خرم) في رأسه وأن هذا الخرم قد حدث قبل عملية التحنيط. وقد تولى الحكم بعده رمسيس السادس (ابن رمسيس الثالث).
1136	50	وفاة رمسيس السادس وقد حكم 8 سنوات. وقد استطاع في السنة الثانية من حكمه
	0	القضاء على خطر قطاع الطرق،، ونشر الأمن في ربوع البلاد. وتولي الحكم بعده ابنه رمسيس السابع. وهنا سنبدأ التقويم ب من هذه السنة.
1129	7	وفاة رمسيس السابع، وقد حكم حوالي سبع سنوات. وتولى الحكم بعده رمسيس الثامن بن رمسيس الثالث

1130	8	وفاة رمسيس الثامن وقد حكم سنة واحدة، وتولى الحكم بعده رمسيس التاسع بن مونتو (Montuherkhopshef) بن رمسيس الثالث.
1111	25	وفاة رمسيس التاسع، وقد حكم 18 سنة. وقد تولى الحكم بعده رمسيس العاشر، وليست واضحة علاقة القربى بين العاشر والتاسع.
1107	29	وفاة رمسيس العاشر، وقد حكم ثلاث سنوات. وتولي الحكم بعده رمسيس الحادي عشر. وليست واضحة علاقة القربى بين الحادي عشر والعاشر.
1078	58	وفاة رمسيس الحادي عشر، وقد حكم 29 سنة. وبوفاته تنتهي الأسرة العشرين وتبدأ الأسرة الواحدة والعشرين بحكم سيمندس.

لندخل إلى التفاصيل:

لقد وقعت فلسطين ضمن مجال التنافس الحاد بين الفراعنة والإمبراطورية الحثية (والذين كانوا يحكمون تركيا وسوريا). وبدأ هذا التنافس مباشرة بعد قيام الفراعة بتحرير مصر من الهيكسوس بقيادة أحمس الأول عام 1580 ق.م. وهنا نستطيع القول وبكل ثقة إنه لا يمكن لبني إسرائيل أن يكونوا قد استوطنوا فلسطين وأقاموا فيها مُلكًا هناك في الفترة نفسها التي كانت فيها فلسطين تقع تحت الحكم المصري العسكري المباشر.

وانتهى الصراع بين الفراعنة والحثيين بعقد أول معاهدة سلام مُسَجَّلَة في التاريخ المكتوب والتي تمت بين رمسيس الثاني والحثيين في عام 1258 ق.م. وعلى إثر هذه المعاهدة استقر الحكم للفراعنة في فلسطين وحتى تَوَلِّي رمسيس السادس الحكم بعدها بـ 113 سنة.

وقد بدأ أول صراع بين الفراعنة وشعوب البحر (على إثر ظهور كارثة العصر البرونزي) في عهد رمسيس الثاني ولكنها وقتها لم يكن هذا الصراع خطيرا، وإنما خطورة الأمر بدأت تظهر في عهد مرنبتاح. والظاهر أن مرنبتاح قام بضرب شعوب البحر (وكذلك ضرب المتمردين في بلاد الشام وليبيا والنوبة) الضربة الجامدة التي أبعدت هذه الشعوب عن مصر فترة طويلة. وقد دخلت مصر في هذه الفترة الهادئة نسبيا إلى حالة من المؤامرات والصراعات السياسية الكبيرة داخل العائلة المالكة وأقطاب السلطة في البلاد. واستمرت هذه الحالة حتى قيام "ستناختي" بانقلاب عسكري تجاه السلطة الحاكمة، وتعيين نفسه فرعونا على البلاد ومؤسسا للأسرة الفرعونية العشرين، واستطاع هذا الفرعون السيطرة على الأمور وانهاء حالة الفوضى في البلاد.

وهناك قصة عجيبة مذكورة في بردية هاريس الأولى (Papyrus Harris I) وفيها يتفاخر رمسيس الثالث بانجازاته وانجازات أبيه ويُذَكِّر المصريين كيف كانت البلاد في صراع وفوضى حتى أن رجلا آسياويا (Asiatics) اسمه إرسو (Irsu) تَغَلب على حُكم البلاد إلى أن استطاع "ستناختي" تحرير البلاد منه. وآسيا ذلك الوقت كانت تُعَبِّر عن المنطقة التي تقع شمال شرق سيناء (الجزيرة العربية وكنعان وسوريا).

وهذه قصة عجيبة ولا يوجد لها أية تفاصيل، ولا نعرف كيف استطاع إرسو أن يحكم البلاد! وربما بالغ رمسيس في هذه القصة، وربما يكون إرسو زعيم عصابة عاثت في البلاد فسادا وقت الفوضى أيام الملكة توسرت، ولكن

لا يوجد أي معلومات تسمح لنا بالترجيح سوى أن هناك شخصا آسياويا قد استطاع أن يكون له تأثير في تاريخ مصر إلى الدرجة أن رمسيس الثالث قد ذكره بالاسم في بُرديته.

وما أن هدأت الأمور الداخلية قليلا حتى ظهرت شعوب البحر من جديد تغزو مصر. والغزوات هذه المرة لم تكن تهدف للإغارة والتدمير، وإنما الضيق الاقتصادي الذي عم المنطقة قد دفع هذه الشعوب لمحاولة أخذ مصر والإقامة فيها. وقد تحالفت هذه الشعوب مع الليبيين من أجل هذا الأمر. وقد استطاع رمسيس الثالث الصمود بمهارة عالية أمام غزوات هذه الشعوب وحلفائهم، واستقرت الأمور في السنة 12 من حكمه، حيث استطاع التفاهم مع إحدى الطوائف في شعوب البحر (الفلستينيين) وأقطعهم أرضا في جنوب كنعان على أن يبقوا تحت التابعية الفرعونية. وبهذا الاتفاق انتهت فعليا الحروب بين الطرفين ودخلت مصر في حالة استقرار.

ولكن ... الخزينة كانت خاوية؛ فالحروب المتواصلة والصراعات الداخلية لسنوات طويلة منذ أيام مرنبتاح قد كبدت الخزينة أموالا طائلة، وأضف إلى ذلك أن التجارة الدولية قد انهارت بسبب الاضطرابات الدولية التي عمَّت المنطقة، والمناخ لم يكن مساعدا للزراعة، وربما النيلُ قد أنقذ أهلَ مصر من هذه الضائقة ولكن الناس في المناطق البعيدة عن النيل قد تضرروا كثيرا. وكل ما سبق قد أثَّر بشكل كبير على مداخيل الدولة.

وحيث إن رمسيس الثالث لم يكن حاكما شرعيا (حيث إن أباه قد اغتصب الحكم من أحفاد رمسيس الثاني، ورمسيس الثاني كان قريب العهد، وكان وقتها بطلا قوميا لمجموع الشعب المصري)، ولهذا اضطر رمسيس الثالث القيام بعدة أمور لحفظ مركزه وتثبيت شرعيته، ومنها القيام بالإنشاءات الضخمة المكافئة لإنشاءات رمسيس الثاني. وكانت هذه الإنشاءات بحاجة للأموال، وهذه الأموال تأتي من الضرائب وذلك في وقت كانت مصر تُعاني فيه من ضوائق اقتصادية ضخمة.

وهنا فإننا نقترح أن رمسيس الثالث هو فرعون الاضطهاد، وأنه المقصود في قوله تعالى "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" (4 القصص)، حيث إنه قام باستعباد بني إسرائيل واستخدامهم سخرة في أعمال الإنشاءات، وهذا قد وفَّر عليه أموالا طائلة. وهذا الأمر سنشرحه في الفصل الثالث؛ حيث إن هذا الموضوع ليس مذكورا في النُّقوش المتوفرة.

ولكن الأمر الذي يمكن استنتاجه من النقوش المتوفرة هو قيامه باستغلال الدِّين لتخدير الشعب واقناعه بعدم الشكوى من ارتفاع الضرائب؛ فقد تقرب رمسيس من كُهَّان المعابد وأعطاهم سلطة مالية وسياسية لم تُعطى لهم من قبل، وهنا نشأ تحالف وثيق بين القصر وكُهَّان الدين، ممَّا أعطى الشرعية اللازمة لرمسيس الثالث وعائلته.

ولكن ما فعله رمسيس الثالث قد أدى في النهاية إلى وضع مصر في بوتقة من الصراعات المستديمة أدت إلى مشاكل اجتماعية وسياسية ضخمة في السنوات التالية:

فقد كان لـ كُهَّان مصر (قبل رمسيس الثالث) النفوذ السياسي وكان لهم دور في الحياة السياسية، ولكن الكُهَّان كانوا موظفين لدى الدولة وليس العكس، ولم يكن لهم السلطة في جمع الأموال وتوزيعها. ولكن بدأ رمسيس الثالث بتضخيم سلطة الكُهَّان في المجتمع والدولة، وهذا خدم أهدافه. ولكن رمسيس لم

ينتبه للعواقب البعيدة لسياساته؛ فقد تضخمت سلطة الكُهَّان وبدرجة غير متوقعة أدت في عهد رمسيس الحادي عشر إلى تَقَلص سلطة الفرعون إلى منطقة الدلتا (مصر الشمالية) فقط، وأما الصَّعيد فقد كان تحت السلطة المباشرة للكاهن الأكبر في طيبة، ولم يكن للفرعون فيها إلَّا الاسم فقط.

وهذا معناه أن دولة مصر وقتها (حوالي عام 1107 ق.م) قد انشقت إلى قسمين، وهذا الانقسام قد تسبب في صراعات اجتماعية وسياسية أدَّت لضرب الانسجام الداخلي في مصر، والذي أدى في النهاية إلى انتهاء حكم الفراعنة إلى الأبد وذلك بعد قيام عائلات ليبية أجنبية بحكم البلاد (الأسرة 23،22 من سنة 945 إلى 720 ق.م) ثم احتلال النوبة للبلاد ثم مجيء الفرس واليونان والرومان ثم دخول الإسلام إليها.

وكما ذكرنا فقد احتاج رمسيس الثالث القيام بعدة أمور لتثبيت شرعيته، وكانت مشكلته الرئيسية أن الخزينة خاوية، وقد تم توثيق أول إضراب للعُمَّال في التاريخ وذلك في نهاية عهده؛ حيث توقف العمَّال في وادي الملوك عن العمل مطالبين بأجورهم المتأخرة ورافعين شكواهم لرمسيس الثالث.

وقد توفى رمسيس الثالث اغتيالا في سنة 29 من حكمه:

فقد كانت عنده عدة زوجات، منهن: الملكة تايتي وهي والدة ولي العهد رمسيس الرابع، والملكة تيا والدة الأمير بينتاور. وقد أرادت تيا أن تضع بينتاور على العرش، ودبرت لذلك مؤامرة اشترك فيها الكثير من بلاط القصر وضباط الجيش! ونجحت المؤامرة في اغتيال رمسيس الثالث، ولكنها فشلت في رفع بينتاور إلى العرش. وعندما تم الكشف عن مومياء رمسيس الثالث في القرن الماضي فقد ظُنَّ وقتها أنه مات ميتة طبيعة، ولكن رقبته كانت مضمدة ولم يرغب العلماء في فك الضماد (شكل 2.1). ولكن بعد فحص المومياء بالأشعة المقطعية تبين وجود جرح عميق جدا في الرقبة. والمتوقع وهكذا جرح أن يكون رمسيس الثالث قد مات فور الحادثة.

وتم تشكيل لجنة قضائية للتحقيق ومحاكمة الجناة باسم رمسيس الثالث، والظاهر أن القصر قد أخفى موت رمسيس عدة أيام كي يكون تشكيل اللجنة باسمه وليس باسم رمسيس الرابع (راجع: سليم حسن ج7 ص 521). وهناك برديات تشرح وبالتفصيل أعمال اللجنة وأحكامها. وتم إعدام الكثير من المتورطين فيها، وأما الأمير بينتاور فقد تم اجباره على الانتحار، ولا يُعلم ماذا حدث مع الملكة تيا.

وقد تم الكشف على مومياء بينتاور (والمسماة: المومياء الصارخة)؛ فقد تم تحنيطها بأسلوب مختصر بسيط لا يتوافق مع الطريقة المعتادة، وهذا قد أثار الانتباه. وبتحليل الحمض النووي للمومياء تبين أنه ابن رمسيس الثالث، فتم الاستنتاج أن هذه هي مومياء بينتاور.

شكل 2.1: مومياء رمسيس الثالث

المرجع: Wiki-RIIIPic

وتولى الحكم بعده رمسيس الرابع. وقد أكمل إنشاءات أبيه ولم يظهر عليه الغرور ونفخ الذات، بل كان مهتما كثيرا بتمجيد أبيه. وجلس في الحكم 4 سنوات.

وتولى الحكم بعده ابنه رمسيس الخامس، وفي عهده انتشر قطاع الطرق وعصابات الإجرام. وقد ثبت أنه أصيب آخر عهده بمرض الجدري، والمعتمد أكاديميا أنه مات بسبب هذا المرض، ولكن هناك ملاحظة تم الانتباه لها:

> يوجد في رأس مرنبتاح ثقب، وتبين بعد الفحص أن هذا الثقب قد حدث بعد التحنيط، وبالتالي فهذا الثقب كان بسبب لصوص المقابر وهم يقطعون ويمزقون الكفن من أجل سرقة المجوهرات التي كانت توضع فيها. ويوجد كذلك ثقب في جمجمة رمسيس الخامس وتبين بعد الفحص أنها حدثت قبل عملية التحنيط، وهناك رأي يقول إن وفاة رمسيس الخامس قد حدثت بسبب ضربة حادة في الرأس (المرجع: Anubis-A). ولكن سليم حسن يقول في موسوعته أن هذا الثقب ربما كان بسبب عملية جراحية قام بها الأطباء لشفاءه من هذا المرض ويقول إن هناك عدة أمثلة لمثل هذه العمليات (المرجع: سليم ج8 ص211).

ومكث رمسيس الخامس في الحكم خمس سنوات، وتولى الحكم بعده عمه رمسيس السادس.

ولم يتم دفن رمسيس الخامس إلا بعد سنتين من وفاته، والسبب أنَّ الصعيد (حيث وادي الملوك الذي يُدفن فيه الفراعنة) لم يكن آمنا، واحتاج الأمر إلى سنتين حتى استطاع رمسيس السادس السيطرة على الأمور ونشر الأمن في ربوع البلاد.

ولكن .... لم يتم دفن رمسيس الخامس في ضريحه، وإنما قام رمسيس السادس بالاستيلاء على هذا الضريح لنفسه، ودفن ابن أخيه في مقبرة أخرى.

وهنا ندخل إلى شرح طبيعة رمسيس السادس؛ فهو لم يكن أخلاقيا في التعامل مع الأعراف المتبعة، والظاهر أنه كان منفوخ الذات. وحيث إن الخزينة كانت فارغة والضائقة الاقتصادية تزداد سوءا فقد قرر رمسيس السادس القيام بتسمية الإنشاءات التي قام بها سابقوه لنفسه؛ فقد قام بمسح اسم رمسيس الرابع والخامس من إنشاءاتهما ووضع اسمه مكانهما وادَّعى أن هذه الإنشاءات له ومن عمله،، إي أن الرجل كان يكذب ولا يستحي من الكذب، ولكن الظاهر أنه كان يحظى بعدد كبير من المُرائين والمُطبِّلين له، وبالتالي لم تكن هذه الأكاذيب لتُؤثر عليه.

وقد كان رمسيس السادس مهووسا بنشر تماثيله في ربوع البلاد (Cult Statues)، وهذه الصفة كانت ظاهرة واضحة في ثلاثة فراعنة: رمسيس الثاني ورمسيس الثالث ورمسيس السادس، ولكن رمسيس الثاني والثالث قد أنجزا أمورا جليلة ضخمة في مصر، وأما رمسيس السادس فكل ما أنجزه أنه أنقذ مصر من قُطَّاع الطرق. ولهذا نقول عن رمسيس السادس أنه منفوخ الذات.

وحكم رمسيس السادس 8 سنوات، ولم يظهر سبب وفاته عند الكشف على مومياته. وبعد 20 سنة من وفاته (وذلك في حكم رمسيس التاسع) بدأت ظاهرة سرقة القبور الملكية تستفحل في البلاد (وهذا بسبب شدة الضائقة الاقتصادية وقتها) وتمكن اللصوص من دخول ضريح رمسيس السادس وسرقة محتوياته. وحيث إن التحنيط كان يتضمن تلبيس المومياء (قبل اللفائف وبعدها) بالمجوهرات والقلائد فقد كان اللصوص يفتحون التابوت ويقطعون اللفائف لأخذ هذه المجوهرات. والظاهر أن اللصوص كانوا في عجلة من أمرهم عندما دخلوا إلى ضريح رمسيس السادس وكان تحطيمهم للتابوت وتقطيعهم للفائف شديدا سريعا مما تسبب بكسر جمجمته وتشويه جثته (شكل 2.2).

ورمسيس السادس هو آخر فرعون له اسم ونقش وآثار في فلسطين، فله (مثلا) قاعدة تمثال في مدينة مجيدو (Megiddo) شمال فلسطين (المراجع: Cole p.51, Weinstein p.23، Wiki-RVI). بل إن رمسيس السادس هو آخر فرعون له اسم منقوش في معبد "سرابيط الخادم" جنوب غرب سيناء (المراجع السابقة)، والظاهر أن الحاميات المصرية قد خرجت من فلسطين في عهد رمسيس السادس أو بعده بقليل (المراجع السابقة).

شكل 2.2: مومياء رمسيس السادس

المرجع: Wiki-RVIPic

ونحن هنا نقترح أن رمسيس السادس هو فرعون موسى، وسنضع القرائن الدالة على ذلك في الفصل التالي.

وحَكَم بعده ابنه رمسيس السابع لمدة سبع سنوات، ثم حكم بعده عدة فراعنة حتى رمسيس الحادي عشر والذي في عهده انشقت مصر إلى قسمين: دلتا النيل ويحكمها الفرعون، والصعيد ويحكمه الكُهَّان. وانتهت الأسرة العشرين بوفاة رمسيس الحادي عشر، وبدأت الأسرة والواحدة والعشرين في "دلتا النيل" بقيادة سمندس.

وقد كانت الضائقة الاقتصادية تزداد سوءا يوما بعد يوم (بسبب صراعات الإدارة وفقدان الممتلكات والنفوذ في البلاد المجاورة إلخ) إلى أن قام اللصوص بالاتفاق مع صِغار الكهان على سرقة محتويات الفراعنة ومجوهراتها، وبدأت هذه الظاهرة بالاستفحال منذ عهد رمسيس التاسع، وسنناقش هذا الأمر في الفصل التاسع.

الفصل الثالث – القرائن الدالة أن فرعون الخروج هو رمسيس السادس

سنضع هنا القرائن المتوفرة والتي تدل بشكل جيد أن رمسيس السادس هو فرعون الخروج (فرعون موسى). وانتبه أن هذه القرائن متداخلة، ولكنها في مجموعها تضع قرينة جيدة لاستنتاجاتنا المقترحة.

أولا: هناك شرطان ("أ" و "ب") يجب تَوَفُّرهما في عهد فرعون موسى:

أ– فرعون موسى يجب أن يكون له نفوذ وسلطة في فلسطين. ودليل ذلك قوله تعالى:

"فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (59 الشعراء).

ومن المؤكد أن بني إسرائيل لم يرجعوا إلى مصر بعد أن خرجوا منها، وهنا يأتي السؤال: من هم أهل هذه المدائن (السَّاكين في جنات وعيون ومقام كريم) الذين خرجوا مع فرعون وغرقوا وأورث الله أرضهم لبني إسرائيل؟ والغالب على الظن أن هؤلاء هم الحاميات المصرية وأتباع فرعون المتواجدين في فلسطين.

ب– لم يعد للفراعنة أي نفوذ في فلسطين بعد فرعون موسى:

الآية السابقة تدل أن أرض فلسطين التي خرجت منها الحاميات قد أورثها الله لبني إسرائيل، ولكن هذه الآية لا تُحدد وقت التوريث. ولكن اليهود لم يَذْكروا في أخبارهم عن أي مواجهة بينهم وبين الجيش المصري (إلا في عهد الملك اليهودي رحبعام وذلك بعد وفاة سليمان عليه السلام). وهذا يُقدم قرينة جيدة أن الحاميات المصرية لم تكن موجودة في فلسطين عندما طلب موسى عليه السلام من بني إسرائيل دخول فلسطين ("يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ" (22 المائدة). وكذلك لم تكن هذه الحاميات موجودة في فلسطين عندما انتهت لعنة التيه على بني إسرائيل؛ وذلك لعدم وجود أي إشارة على المواجهات بين بني إسرائيل والحاميات المصرية، أو أي إشارة لخضوع بني إسرائيل للحاميات المصرية في فلسطين.

ثانيا: نستطيع أن نقول وبكل ثقة إن فرعون موسى لا يمكن أن يكون في الأسرة الثامنة عشرة (وهي أسرة تحتمس الثالث) وما قبلها، وذلك لأن لقب فرعون لم يكن ضمن ألقابهم الملكية، ولم يظهر وينتشر لقب فرعون إلا منذ منتصف الأسرة التاسعة عشرة.

ونستطيع أن نقول وبكل ثقة إن فرعون موسى لا يمكن أن يكون في الأسرة التاسعة عشرة (وهي أسرة رمسيس الثاني) وذلك لأن فلسطين بأكملها كانت تقع تحت الحكم العسكري الكامل لهم، وهنا نرجع إلى القرينة "ب" السابقة.

ونحن هنا نقول "تحت الحكم العسكري" لأن الفراعنة لم يُحاولوا على الإطلاق إدخال كنعان إلى القومية المصرية، وإنما كانت نظرة الفراعنة لهم أنهم شعوب أجنبية، وبالتالي لم يقم الفراعنة بمحاولة خلق الولاء من

الكنعانيين تجاه مصر. وضمن هذه الحالة فإن الطريقة الوحيدة لاستمرار النفوذ المصري في كنعان هو وجود الحاميات العسكرية القوية فيها.

وكذلك نستطيع أن نقول إن فرعون موسى لا يمكن أن يكون في الأسرة الواحدة والعشرين (وهي أسرة سمندس) وذلك لأن بداية هذه الأسرة تتوافق مع بداية ظهور المملكة الإسرائيلية بقيادة طالوت (Saul)، فالأسرة 21 قد بدأت حوالي 1077 ق.م، في حين يتم تقدير تَوَلي طالوت عرش المملكة الإسرائيلية حوالي عام 1034 ق.م.

وبالتالي نستطيع القول وبثقة عالية إن فرعون موسى هو في الأسرة العشرين.

ولا يمكن أن يكون فرعون موسى هو رمسيس السابع أو من جاء بعده؛ لأن هؤلاء الفراعنة لم يكن لهم نفوذ في فلسطين (وهذا لا يتوافق مع القرينة "أ" السابقة).

وبالتالي يكون فرعون موسى بين رمسيس الثالث ورمسيس السادس.

ولا يمكن أن يكون فرعون موسى هو رمسيس الثالث لأن رمسيس الثالث قد مات اغتيالا.
ولا يمكن أن يكون فرعون موسى هو رمسيس الخامس لأن رمسيس الخامس قد مات من الجُدري.

فلا يبقى إلا رمسيس الرابع ورمسيس السادس.

ومستبعد أن يكون فرعون موسى هو رمسيس الرابع لأن رمسيس الرابع لم يظهر عليه الغرور أو نفخ الذات.
وكذلك كانت فلسطين تقع في حكمه وحكم ابنه (رمسيس الخامس) وهذا لا يتوافق مع الشرط "ب". وهناك قرينة أخرى سنشرحها لاحقا.

وأما رمسيس السادس فهو آخر من حكم فلسطين. وقد كان (ضمن الظاهر الملموس) منفوخ الذات ويسعى لتمجيد نفسه بكل الوسائل، وهذا يتوافق مع الآيات:

- " وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ" (الزخرف 43).
- " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي " (القصص 38).

وبالتالي فإن المنطقية هنا تقتضي ترجيح رمسيس السادس ليكون فرعون موسى.

ثالثا: لنفترض جدلا أن رمسيس السادس هو فرعون موسى. فهذا معناه أن موسى وقومه قد خرجوا من مصر في حوالي 1136 قبل الميلاد.

ولنفترض أن المدة بين خروج موسى من مصر ونزول لعنة التيه على بني إسرائيل كانت سنتين، وهذا افتراض مقبول حيث إن هذه المدة كافية كي يصل موسى وقومه بهدوء إلى الأردن أمام جبال القدس. وهذه الفترة سنسميها: **فترة الترحال**.

وحيث إن التيه كان أربعين سنة، فهذا يتضمن أن انتهاء التيه كان في سنة 1094 ق.م.

الآن ... القصص الإسرائيلية تقول إن يوشع بن نون قد قادهم ودخل فلسطين عنوة بحد السيف، وأرى أن هذا مستبعد حيث إن اليهود لم تكن عندهم مؤسسة حاكمة عندما استقروا في فلسطين (أي لم يكن عندهم ملك أو رئيس يجمعهم)، ولم تظهر الحاجة لوجود نظام للحكم إلا بعد تعرضهم للمضايقات والغزوات من الفلستينيين، وذلك حسب قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (247 البقرة).

ولكن بغض النظر إن دخلوا فلسطين عنوة بعد التيه أو سِلما إلا أننا نستطيع القول إن هناك فترة من الزمن لم يكن عندهم نظام حكم إلى أن جاءهم طالوت، وهذه الفترة سنسميها: **فترة الاستيطان**.

وهنا نسأل ... ما هي المدة الزمنية الممكنة بين استقرارهم في فلسطين وحكم طالوت لهم (فترة الاستيطان)؟

ونستطيع أن نضع افتراضا منطقيا أن المدة هي حوالي عشرين سنة تزيد أو تنقص قليلا.

وهذا معناه أن حُكم طالوت كان سنة 1074 ق.م!

ولكن تقدير المؤرخين لحكم طالوت أنه كان حوالي 1034 ق.م والفرق 40 سنة، وهذا فرق كبير.

ولكن ... دعونا نعكس العملية ونعتمد على تقدير المؤرخين لحكم طالوت أنه كان في سنة 1034 ق.م، وهذا معناه أن خروجهم من مصر (ضمن الافتراضات السابقة) كانت حوالي 1096 ق.م وهذا الوقت كان في حكم رمسيس الحادي عشر (والذي حكم بين 1107 إلى 1077 ق.م) ولكن من المستبعد تماما أن يكون هذا هو فرعون موسى، فلم يكن له أي سلطة في فلسطين، بل لقد خرج صعيد مصر كله من سلطته.

ولكن هذا التقدير للخروج (أي سنة 1096 ق.م) يدل أن فرعون موسى كان في عهد الأسرة العشرين، وضمن هذا الاستنتاج فإن غلبة الترجيح أن رمسيس السادس هو فرعون موسى (كما شرحنا في البند السابق).

لكن علينا هنا أن نُجيب عن الفرق في تاريخ الخروج المفترض ووفاة رمسيس السادس، فهناك 40 سنة.
ونستطيع تقديم إحدى أو كِلا الاحتمالين التاليين:

1- فترة الاستيطان كانت أكثر من 20 سنة.
2- تقدير المؤرخين لحكم طالوت كان خاطئا.

دعونا نُقَدِّر على التقريب الوقت الذي حكم فيه طالوت:

هناك الكثير ممن يقول إن أقدم نقش قد تَضَمَّن إسرائيل هو لوحة مرنبتاح، ولكن هناك خلافات كثيرة في هذا الأمر. ولكن أقدم نقش مؤكد قد تَضَمَّن إسرائيل هو نقش شلمنصر الثالث ملك أشور والذي يرجع إلى عام 850 ق.م، وفيه يذكر حروبه في فلسطين ومواجهته للملك أحاب (Ahab) ملك إسرائيل (وكانت عاصمته السامرة –

نابلس). وهذا يتوافق مع الروايات الإسرائيلية. وبالتالي توجد نقطة مشتركة بين الروايات الإسرائيلية والروايات الأخرى.

وإذا وَثِقْنا بالروايات الإسرائيلية في هذا الأمر فإن "أحاب" هو الملك السابع لدولة إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام. وهناك ثلاثة ملوك في السلسلة وهم طالوت وداود وسليمان، وبالتالي فإن هناك عشرة ملوك بين فترة الاستيطان والملك أحاب. وإذا افترضنا أن كل خمسة ملوك تُمثل حوالي 100 سنة (وهو افتراض مقبول على عموم التقدير)، فهذا معناه أن الفترة بين نقش شلمنصر وحكم طالوت كانت حوالي 200 سنة، وهذا يضع حكم طالوت حوالي سنة 1050 ق.م.

وهذه كانت رحلة عبر مجموعة من الافتراضات لحكم طالوت، ولكن مهما كانت الافتراضات التي نضعها لحكم طالوت، ومهما كانت الافتراضات التي نضعها لسنة الخروج من مصر فإن سنة الخروج ستكون في عهد الأسرة العشرين. وعليه فإن فرعون موسى هو رمسيس السادس وبدرجة ظن عالية اعتمادا على المناقشة في البند الثاني في هذا الفصل.

وإذا كان فرعون الخروج هو رمسيس السادس فإنه من المؤكد دون شك أن فرعون الاضطهاد هو رمسيس الثالث لأنه لا يمكن أن يكون موسى عليه السلام قد وُلِدَ في عهد رمسيس الرابع أو الخامس أو السادس.

وتوجد هنا نقطة وقد فَضَّلْت أن أضعها منفصلة وذلك لطولها، ولكنها تضع قرينة قوية أنه لا يمكن لرمسيس الرابع أن يكون فرعون موسى:

ضمن غلبة الظن فإن موسى عندما خرج إلى مدين كان بين الثلاثين والأربعين وذلك لقوله تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ **أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى** آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15 القصص).

وهناك خلاف في عمر الاشتداد ولكن غلبة الظن أنه في البلوغ وذلك لآية اليتيم: " وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ **أَشُدَّهُ** (في 152 الأنعام). ولكن آية موسى تُضيف شيئا آخر: "واستوى"، وكذلك الوصف أنه أوتي "علما وحكمة"، وهذا يتوافق مع القول إن عمر الاشتداد والاستواء يصل ما بين الثلاثين والأربعين، وهذا يتوافق مع الآية: وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا **بَلَغَ** أَشُدَّهُ **وَبَلَغَ** أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15 الأحقاف).

وإذا افترضنا صحة ما سبق وأن موسى قد خرج إلى مدين بعد الثلاثين من عمره في عهد رمسيس الثالث، وقضى فيها 8 إلى 10 سنوات، فإن رجوعه إلى مصر لا يمكن أن يكون في عهد رمسيس الرابع لأن رمسيس الرابع قد حكم مدة ست سنوات ومات بعد 37 سنة من تولي رمسيس الثالث الحكم. وهذا يقدم قرينة جيدة أنه لا يمكن لرمسيس الرابع أن يكون فرعون موسى.

وهنا تأتي استنتاجاتنا: فرعون الاضطهاد هو رمسيس الثالث، وفرعون الخروج هو رمسيس السادس.

ولكن توجد هنا نقطتان للنقاش:

#1 لماذا لا يكون "القوم الجبارون" في قوله تعالى: ""قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ" (راجع النقطة "ب" في البند الأول) أنها تدل على الحاميات المصرية وليس الكنعانيين، وبالتالي فإن فرعون موسى قد يكون في الأسرة التاسعة عشرة (أسرة رمسيس الثاني) وليس بالضرورة أن يكون في الأسرة العشرين (أسرة رمسيس السادس)؟

والقوم هنا تدل على الاستقرار (بمعنى أن القوم هنا تدل على شعب ولا تدل على حامية أجنبية) ولكن هذا التعميم ليس صريحا.

ولكن لنفترض هذا، ولنقل إن "القوم الجبارين" في الآية هم الحاميات المصرية في منطقة القدس. وهنا فإنه من المؤكد أن هذه الحاميات قد خرجت تماما من المنطقة قبل انتهاء التيه (وذلك لأنه لا يوجد ذكر في الروايات الإسرائيلية عن مواجهاتهم للحاميات المصرية).

وآخر حامية مصرية في فلسطين قد خرجت في عهد رمسيس السادس (أو بعده بقليل كما شرحنا في الفصل السابق). ولنفترض أن خروج هذه الحاميات كان في عام 1036 ق.م. ولنفترض (من أجل الاحتياط في التحليل) أن هذه الحاميات قد خرجت في نفس السنة التي انتهى فيها التيه، فهذا معناه أن التيه قد بدأ في عام 1076 ق.م (أو بعده)، ولنفترض من أجل الاحتياط أن فترة الترحال كانت خمس سنوات (وهي الفترة من لحظة الخروج إلى بداية التيه)، وهذا معناه أن الخروج كان في عام 1081 ق.م (أو بعده). وهذا معناه أن فرعون الخروج هو رمسيس الثالث، وهذا مستبعد جدا لأن رمسيس الثالث قد مات اغتيالا. وكذلك فإن هذا التاريخ يتطلب القول إن سيدنا موسى لم يولد في عهد الأسرة العشرين وإنما في عهد الأسرة السابقة، وهذا يتعارض مع قوله تعالى على لسان فرعون: "قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ" (18 الشعراء)، وهذا يتطلب أن موسى قد وُلِدَ في الأسرة الحاكمة نفسها وليس في الأسرة السابقة.

وهنا نرجع إلى الافتراض السابق ونقول: من الممكن أن يكون المقصود بـ "قوم جبارين" هم الحاميات المصرية التي لم تذهب مع فرعون في مطاردة موسى. ولكن حتى في هذا الافتراض فإن فرعون موسى يبقى في الأسرة العشرين، والمُرَشَّح المُرَجَّح لفرعون موسى هو رمسيس السادس كما شرحنا في البند الثاني.

#2 قلنا في موضوع الشرط "أ" إن فرعون موسى يجب أن يكون له سلطة في فلسطين، والدليل: "فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي

إِسْرَائِيلَ" (59 الشعراء). وذكرنا أن رمسيس السادس كان آخر فرعون له سلطة في فلسطين، وبالتالي لا يمكن أن يكون موسى قد جاء بعد عهد رمسيس السادس.

ولكن لماذا يجب أن يكون لفرعون السلطة في فلسطين؟ ألا نستطيع القول إنه طلب المعونة والنجدة من حلفائه هناك؟ وهنا ألا يُمكن أن يكون فرعون موسى هو رمسيس العاشر (مثلا)؟؟

الجواب: من الممكن أن يُفهم من الآيات التالية أنها طلب للمعونة والنجدة من الحلفاء: "إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ"، ولكن الذي يُثبت أنَّ لفرعون السلطة في فلسطين هي الآية: "فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ"، والحاشرون هنا هم موظفو التعبئة العامة في الجيش، وبالتالي فهو لم يطلب المعونة والنجدة وإنما قام بإعلان النفير واستدعاء الجيش.

وهذه النقطة قد تتوضح إذا نظرنا في الآية: "قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" (112 الأعراف)، وتفسير "حاشرين" عند الطبري أنهم الشُّرطة، وهذا أمر منطقي حتى في عصرنا الحالي؛ فعندما تحتاج السلطات الحاكمة إلى شخص خبير ذي تخصص نادر لاستشارته فإن السلطات ستقوم أول ذي بدء بتكليف جهاز الاستخبارات بالبحث عن مثل هذا الخبير.

وهنا النقطة ... قيام فرعون بارسال الحاشرين إلى المدائن تتطلب وجود السلطة للفرعون في ذلك. وأما الآيات: "إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ...." فنستطيع القول إن فرعون قد أعلن النفير العام، وبالتالي فهو لم يطلب فقط الحاميات، وإنما استدعى كذلك المتطوعين من الموالين له من الكنعانيين والفلستينيين، وربما قام كذلك بتجنيد المرتزقة منهم.

ولكن النقطة الرئيسية في النقاش أن إرسال الحاشرين يتطلب وجود السلطة. ولهذا لا يمكن أن يكون موسى قد جاء بعد عهد رمسيس السادس، لأن رمسيس السادس هو آخر فرعون كانت له السلطة في فلسطين.

ومن المفيد هنا القيام بعرض النصوص في التوراة التي تتعارض مع القول إن فرعون الاضطهاد هو رمسيس الثالث:

1. يذكر سفر الخروج (الاصحاح 1 الفقرة 11) أن فرعون قد أجبر بني إسرائيل على بناء مدينة رعمسيس. وهذا النص يتطابق مع الافتراض أن فرعون الاضطهاد هو رمسيس الثاني حيث إنه هو الذي أسس هذه المدينة. ولكن لا يوجد تعارض بين استنتاجاتنا وهذا النص؛ حيث إنه من الثابت أن رمسيس الثالث قد قام بتوسعة مدينة رعمسيس.
2. يذكر سفر الملوك (الاصحاح 6 فقرة 1) أن المدة بين الخروج من مصر إلى حكم سليمان هي 480 سنة، وهذا مستبعد جدا جدا، حيث إن هذا يتطلب أن يكون بنو إسرائيل قد خرجوا في عهد تحتمس الثالث . وهذا معناه أن فترة الاستيطان قد وصلت إلى 435 سنة، وهذا كله مستبعد؛ لأنه لا يوجد أي

ذكر عن مواجهات بين بني إسرائيل والحاميات المصرية ولا يوجد أي ذكر عن خضوع بني إسرائيل للجيش المصري بعد خروجهم من مصر.

3. هناك من يظن أن دخول يعقوب إلى مصر قد تم في عهد رمسيس الثاني وذلك لنص في سفر التكوين (اصحاح 47 فقرة 11) أن الملك قد أقطع بني إسرائيل أرضا في رعمسيس. ومن المستبعد جدا أن يكون يوسف ويعقوب قد دخلوا مصر في عهد رمسيس الثاني لأن المدة بين رمسيس الثاني ورمسيس السادس لا تزيد من 135 سنة. وأما النص في سفر التكوين فإن لم يكن فيه خطأ فإنه يُمكن تأويله أن هناك منطقة (وليست مدينة ولا عاصمة) في مصر كان تُسمى ذلك الوقت "رعمسيس".

وهناك نقطة يجب شرحها فيما يخص التحريف في الأسفار اليهودية: فبعض التحريف قد جاء تعمدا، ومنها النص في سفر التثنية (اصحاح 23 فقرة 20) "لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا، وَلكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِبًا"، والثابت في القرآن أن الله قد حرم عليهم الربا دون استثناء.

وربما جاء بعض التحريف خطأً؛ إذ لم يتم التعامل مع التوراة كالقرآن: فالناس كانت تتبارى وتتنافس في حفظ القرآن، وبالتالي إذا أخطأ أحدهم في نسخ القرآن فإن هذا الخطأ سينكشف في لحظته وتنتبه إليه الناس. وأما التوراة فلم يتبارى الناس في حفظها ولم تكن مترسخة في القلوب، وبالتالي فمن الممكن أن تأتي الأخطاء إليها أثناء عملية النسخ، وخصوصا أن عمليات النسخ قد أوكِلَت لمجموعة من الأحبار المتعاقبين. وكذلك فإن بني إسرائيل قد تعرضوا في تاريخهم القديم للعديد من النفي والتهجير، وربما تسبب هذا لـ تلف بعض الصفحات في التوراة وضياعها، وقام الأحبار عندها بوضعها مما يحفظونه منها،، ومن هنا تأتي بعض الأخطاء في النصوص التوراتية.

وهناك نص عجيب جدا في التوراة ولا أدري هل كان تحريفا متعمدا أم جاء بالخطأ: فحسب القرآن فإن السامري هو الذي أضل بني إسرائيل في عبادة العجل، ولكن التوراة تقول إن الذي صنع العجل وأضل بني إسرائيل هو سيدنا هارون عليه السلام. وقد برأ الله هارون من هذا الصنيع (وذلك في تفصيل القصة) إلا أنه لعجيب وغريب وغير منطقي (ضمن النظرة الطبيعية للأمور) أن يقتنع الأحبار بقصة يقوم فيها نبي الله بصناعة عجل ويسمح لشعبه أن يعبدوا هذا العجل:

1 وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ.«

2 فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَائْتُونِي بِهَا.«

3 فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ.

4 فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلًا مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.«

5 فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ.«

6 فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.

(سفر الخروج الاصحاح 32 الفقرة 1).

ولا أستطيع التخمين كيف جاءت هكذا قصة إلى التوراة، وكيف استطاع الأحبار تَقَبُّلها! والهدف في ذكر ما سبق أن هناك أحداث صادقة في التوراة وهناك أحداث وقصص في غاية الخطأ، وليس من السهل دائما تحديد الصحيح فيها من الخطأ.

وآخر نقطة في هذا الفصل هو مناقشة الزمن الذي كان فيه يوسف عليه السلام؛ فكثير من المراجع الإسلامية قد حددت وقت يوسف عليه السلام في عهد الهكسوس (1650 إلى 1550 ق.م) وذلك اعتمادا على النصوص القرآنية: فقد تم وُصِفَ الحاكم وقت يوسف بـ "الملك" في حين تم وصف الحاكم وقت موسى بـ "الفرعون". وعليه فإن الحاكم وقت يوسف كان ملكا وليس فرعونا وهذا يعني أن الحاكم لم يكن مصريا وإنما من الهكسوس. ولكن هذا الاستنباط لا يصلح الآن وقد تبين أن لقب "الفرعون" لم يظهر إلا في عهد الأسرة 19 (أسرة رمسيس الثاني)، وبالتالي يكون السؤال ... متى كان وقت يوسف؟

وهنا فإنا نظن أن وقت يوسف لا يزال في عهد الهكسوس: فقد وضع يوسف حلا وأقره الملك في تخزين الحبوب في وقت الرخاء لاستخدامها في وقت الضيق، وبدأ في إقامة صوامع التخزين على مستوى المملكة بأكملها، وأقام جهازا لإدارة هذه الصوامع في وقت الرخاء والضيق. ولو ابتدع هذا الحل أحد ملوك مصر لتم تسجيله في النقوش ولبقيت تفاصيله في الذاكرة. وأما وأن هذا الحل لم يتم تسجيله فهذا يدل أنه قد جاء في عهد الهكسوس؛ فقد قام ملوك مصر بمحو كل ذكرى لهم. ولهذا السبب نقول إن الوقت المُرَجَّح ليوسف عليه السلام لا يزال في عهد الهكسوس.

الفصل الرابع – قصة موسى عليه السلام اعتمادا على الاستنتاجات المقترحة

اعتمادا على الاستنتاجات في الفصل السابق أن رمسيس الثالث هو فرعون الاضطهاد، وأن رمسيس السادس هو فرعون الخروج، فإننا هنا سنضع السيناريو المقترح لقصة سيدنا موسى عليه السلام.

ولكن لنبدأ أولا بالسؤال التالي: هل فرعون موسى هو نفسه فرعون الاضطهاد كما قد يُفهم في الآيات، أم أن فرعون الاضطهاد مختلف عن فرعون موسى كما هي الروايات الإسرائيلية؟

الجواب: مع أن الآيات ليست صريحة في هذا الأمر إلا أن هناك إشارة جيدة في الآيات تُؤيد الرواية الإسرائيلية وهي قوله تعالى: "وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ" (9 القصص)، وقوله تعالى عن فرعون موسى: "قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ" (18 الشعراء).

والآية الأولى تدل أن الفرعون هو الوالد بالتبني لموسى، والآية الثانية تدل أن فرعون موسى ليس هو الوالد بالتبني، مما يدل على صحة الافتراض بوجود فرعونين: فرعون الاضطهاد (وقت ولادة موسى عليه السلام) وفرعون الخروج.

وهناك افتراض (اعتمادا على آية القصص السابقة) أن فرعون الاضطهاد لم يكن له أولاد، ولهذا اقترحت امرأة فرعون تبني موسى، ولكن هذا الافتراض ليس صريحا في الآية، وربما كان وقتها بلا ولد، وربما يكون له أولاد ولكن من امرأة أخرى.

لنبدأ الآن في سرد السيناريو اعتمادا على الاستنتاجات المقترحة:
كما ذكرنا في الفصل الثاني فقد كان رمسيس الثالث غير شرعي إذ استولى على حكم البلاد من أحفاد رمسيس الثاني (ووقتها كان رمسيس الثاني بطلا قوميا للبلاد)، وكذلك فقد كانت الخزينة خاوية بسبب الصراعات والحروب التي استمرت وقتا طويلا، وكذلك بسبب تأثر التجارة الدولية بكارثة العصر البرونزي.

ولهذا اضطر رمسيس الثالث القيام بعدة أمور لتثبيت حكمه وشرعيته في البلاد، ومنها القيام بالمشاريع الضخمة المكافئة لما بناه رمسيس الثاني، وكذلك القيام باستغلال الدِّين لتخدير الشعب المصري ومنعهم من الاعتراض على ارتفاع الضرائب.

ولكن إذا كان رمسيس الثالث هو فرعون الاضطهاد فقد قام بعمل آخر غير مذكور في النقوش؛ إذ قال تعالى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" (4 النمل). وعندما يكون الحاكم شرعيا وبيده القوة والمال فهو عندها ليس بحاجة لخلق الأحزاب والطوائف في البلاد. ولكن إذا أصبح الحاكم في وضع ضعيف فإن أفضل الحلول له هو خلق الأحزاب والطوائف في المجتمع بحيث يتصارع كل حزب وطائفة مع الأخرى، ويكون الحاكم محايدا في المركز. وعندها لا يجرؤ حزب على مواجهة الحاكم خوفا أن تستفرد به الأحزاب الأخرى. وهنا يصبح وجود الحاكم ضروريا لحفظ التوازن في المجتمع.

وهذا الأسلوب في الحكم طبقته إنجلترا في مجتمعاتها ومستعمراتها؛ فقد كانت تخلق في هذه المجتمعات الأحزاب المتعارضة، وتبدأ هذه الأحزاب التصارع فيما بينها على الموارد والمناصب والمفاخر المتوفرة. وهنا تتظاهر إنجلترا بالحياد والعدالة، وعندها يُصبح وجود إنجلترا في المجتمع ضروريا وذلك لخوف كل حزب من أن تستفرد به الأحزاب الأخرى، وهنا يصبح وجود إنجلترا في المجتمع مَطْلَبًا لكل الأحزاب المتصارعة.

وهذا ما أعطى لإنجلترا القدرة لحُكْم مجتمعات ضخمة وبجيوش قليلة، فقد حكموا الصين بـ 20 ألف جندي، وقد حكموا الهند بشركة تجارية. وهذا الأسلوب في الحكم يُسميه الإنجليز فَرِّق واغزو (Divide and Conquer) وهو الذي تمت ترجمته إلى العربية: فَرِّق تسد.

وهذا الذي نَظُنُّه قد فعله رمسيس الثالث في مصر، وهذا الذي نظنه تفسير الآية "وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا"، وهو بهذا الأسلوب يستطيع تثبيت عرشه حتى وإن كانت أغلبية الشعب ينظرون إليه أنه "غير شرعي".

وقام كذلك باستعباد بني إسرائيل واستخدامهم سخرة في الأعمال المدنية (إنشاءات وزراعة إلخ). وهذا ظلم حقيقي ولكنَّ خزينته كانت خاوية وكان بحاجة ماسة للأموال، فوجدها حَلًّا أن يستعبد طائفة من المجتمع ليعملوا لديه بلا أجر. وليس من الصعب صناعة التبرير لهذا الاستعباد، فربما استخدم رمسيس الآسيوي "إرسو" (الذي سيطر مدة بسيطة على حكم مصر كما ذكرنا في الفصل الثاني) عذرا في استعباد بني إسرائيل على أساس أن بني إسرائيل هم من الآسيويين (أي من بدو بلاد الشام)، أو ربما اشترك مع إرسو بعض من بني إسرائيل، أو أي عذر آخر.

وهنا نقطة مقارنة ... فالخزينة كانت فائضة في عهد رمسيس الثاني ولم يكن بحاجة لاستعباد أية طائفة، بعكس الحال في عهد رمسيس الثالث؛ فقد كانت خزينته خاوية.

وهنا توجد نقاط انتباه:

1- قال تعالى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" (4 القصص). فإذا كان هدف رمسيس الثالث هو استعباد بني إسرائيل فلماذا يذبح أبناءهم؟

موضوع الاستعباد هو أمر مؤكد؛ فالآية تقول: "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22 الشعراء). ولهذا يكون سؤالنا: ما هو السبب الذي يجعل رمسيس الثالث يقتل الذكور مع أنه بحاجة للعمالة؟

والجواب: ربما يكون محاولة ترويض، فمن الطبيعي في بداية الأمر أن يعترض ويقاوم بنو إسرائيل قرار رمسيس، وربما كان قتل الذكور ضغطا وترويضا من رمسيس الثالث. وهذا نلاحظه في العقوبة التي فَرَضَها فرعون موسى على بني إسرائيل: وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127 الأعراف).

2- الآية: "وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22 الشعراء) قد تُوحي أن فرعون موسى هو من استعبد بني إسرائيل، ولكن هذا ليس ضروريا، فالخطاب هنا قد يكون مُوَجَّهًا نحو المنصب

(منصب الفرعون) ومنظومة الحكم، وليس بالضرورة للشخص المُخاطب. ومثل ذلك قوله تعالى لليهود: "أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" (87 البقرة)، واليهود في عهد الرسول عليه السلام (وهي الجهة المُخاطبة) لم تقم بقتل النبيين ولكن الخطاب لا يتعلق بالجهة المخاطبة فقط، وإنما بعموم صفات اليهود قديما وحديثا.

وعلى التخمين فإن موسى قد وُلد في منتصف عهد رمسيس الثالث في حوالي سنة 1171 ق.م. وتربى موسى في قصر رمسيس الثالث، ويبدو أن الحال قد تطور مع موسى ليصبح مُؤثراً في أحد الشِّيع (الأحزاب) الرئيسية في مصر. وكان ضمن جدال مع خصم له من شيعة أخرى فضربه وقتله خطأً. وتآمرت الشيعة الأخرى لقتل موسى ولكن موسى نجح بالخروج إلى مدين.

قال الله تعالى: "وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ" (15 القصص).

نقطة انتباه ... لفظة "من شيعته" تختلف تماماً عن لفظة "من قومه"، ففي ذِكْرِ قارون فإن اللفظة هي "من قوم موسى". ولهذا يغلب على الظن أن "شيعته" لا تعني "قومه" وإنما تعني أحد الأحزاب الرئيسية المؤثرة الموجودة في مصر.

ونظن أن هذا الأمر قد حدث في عهد رمسيس الخامس، وذلك لأن رجوع موسى إلى مصر قد تم في أواخر عهد رمسيس السادس، ومكث موسى في مدين 8 إلى 10 سنوات، وهذا يتطلب أن يكون خروج موسى إلى مدين قد تم في أول عهد رمسيس الخامس في حوالي 1144 ق.م.

وذهب موسى إلى مدين وتعرف على شيخ جليل هناك. والظاهر أن موسى لم يكن ينوي المكوث هناك طويلا وإنما كانت نيته أن يرجع إلى مصر بعد أن تهدأ الأمور. ولهذا فقد اشترط الشيخ الجليل على موسى أن يبقى معه ثماني سنوات (على الأقل). ووفَّى موسى بالشرط ثم رجع إلى مصر. وغلبة التخمين أن موسى كان يعلم ديناميكية الأمور في مصر ويعلم أن الشيعة التي تستهدفه بالقتل سَتَضْعف وعندها سيتمكن من الرجوع إلى مصر. وعلى أية حال فإن الله عز وجل قد بعثه رسولا منه إلى فرعون وبني إسرائيل وذلك بعد أن أوفى موسى بشرط الشيخ. والظاهر أن موت رمسيس الخامس وتولي رمسيس السادس الحكم قد زاد من قوة الحزب (الشيعة) الذي ينتمي إليه موسى.

وانتبه هنا ... نحن نقول: "الحزب الذي ينتمي إليه موسى"، وهذا الانتماء قد جاء لأن موسى كان عضوا في العائلة المالكة كونه ابن رمسيس الثالث بالتَّبني. وبالتالي عندما نقول إن موسى ينتمي لحزب الأفضلية أو أن موسى قريب من حزب الأفضلية فنحن **<u>نقصد</u>** أن الرجال في حزب الأفضلية ينظرون إلى موسى أنه ينتمي إليهم وأنه فرد منهم.

ورجع موسى إلى مصر واجتمع مع فرعون وألقى عليه المعجزة .

الآن..... لو أن موسى رجل عادي لما كان من المستحيل لفرعون أن يفكر في قتله فوراً، ولكن موسى قريب جداً من حزب الأفضلية (أي الحزب الأقوى ذلك الوقت)، وكان فرعون أذكى من ضرب التوازن في حكمه. فكانت خطة فرعون هي كسب الوقت في محاولة تنفير حزب الأفضلية (وبني إسرائيل) عن موسى. ولهذا فقد طلب من رجاله جمع السحرة إلى الميدان العام، وكانت خطة فرعون هو أن يستطيع السحرة أن يفتنوا الناس وبدرجة أكبر من قدرة موسى على تبيان النبوة وعندها تكون يد فرعون حرة في التعامل معه.

والظاهر أن فرعون قد قرر أن يجعل السحرة من بني إسرائيل، وعندها يقوم بضرب الحديد بالحديد. وإذا فشلت الخطة فإنه يستطيع التَّهرب من تبعاتها كما سنرى لاحقا. ودليل ذلك الآية: "قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ" (112 الأعراف).

ولم يكن موسى يطلب إخراج الأقباط من أرضهم، وإنما كان يطلب السماح لبني إسرائيل الخروج من مصر. ويمكننا أن نستنتج من هذه الآية أمورا كثيرة، فقد بدأ استعباد بني إسرائيل في أول عهد رمسيس الثالث، وهناك حوالي 50 سنة بين ذلك الوقت ونبوة موسى،، فأصبح هذا الاستعباد عُرفًا في المجتمع: أي أن هناك أحزابا (شيعا) رئيسية وهناك طائفة مستضعفة وأن هذا هو العرف المتبع في الدولة منذ مدة طويلة جدا. وعندما يأتي موسى ويطلب تغيير الوضع القائم فإن هذا ما يتم تسميته الآن بـ "ضرب الوحدة الوطنية". وبالتالي فإن فرعون يقول إن موسى ظالم لأنه يريد أن يُخرج بني إسرائيل من أرضهم ووطنهم مصر. وأن مطالب موسى هي خيانة وطنية لمصر.

وعندما ألقى موسى بالمعجزة أمام فرعون فإن أعوان فرعون (الملأ) قد سألوا المشورة من أولياءهم من بني إسرائيل، ودليل ذلك قول الملأ في الآية: يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ. ومن الدهاء في هذه الحالة لفرعون أن يختار السحرة من بني إسرائيل، فهو في هذه الحالة يضرب الحديد بالحديد. ولكن ما إن تبين للسحرة بيان المعجزة حتى سجد جميعهم لرب العالمين. وهذا يُرَجِّح (ولا يُثْبت بالضرورة) وجود عِلْمٍ مسبق عند السحرة بالوحدانية، ويُرَجِّح (ولا يُثبت بالضرورة) أن السحرة قد تم اختيارهم من الموالين من بني إسرائيل.

وهناك قرينة أخرى على ما سبق: وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64 طه)

وفي آية: "قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا"، فهذا قول فرعون، وهو يتحدث وكأنه المُمَثِّل الوطني الشَّرعي لبني إسرائيل، وهو في هذه الحالة يتصرف وكأنه القائد الأمين وأن بني إسرائيل هو مُكَوِّنٌ شرعي وطني في هذه البلاد وأنه لن يَسْمح لأي شخص بضرب الوحدة الوطنية فيها. وهذه الوحدة الوطنية قد تم تسميتها في الآية 63: "الطريقة المثلي". وغلبة التخمين أن موسى عندما قال: "ويلكم لا تفتروا" (الآية 61) فقد كان يتحدث إلى بني إسرائيل الموالين لفرعون. وعلى غلبة التخمين فإن الآية 63 هو حديث بين السحرة وأعوان فرعون، وأن هؤلاء السحرة هم من بني إسرائيل الموالين لفرعون، ودليل ذلك النص: "أن يخرجاكم من أرضكم"، وكما ذكرنا فموسى لم يكن يطلب خروج الأقباط من مصر وإنما السماح لبني إسرائيل الخروج منها.

وفشلت هذه الخطة فشلاً ذريعاً ولكن فرعون استطاع تدارك الموقف باتهامه السحرة أنهم أعوان موسى وأنهم اتفقوا مع موسى لضرب الوحدة الوطنية في البلاد. قال تعالى: "قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ"(123 الأعراف)، وقال تعالى: "قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ" (49 الشعراء).

وكانت خطة فرعون التالية هي إهمال موسى عليه السلام. ويبدو أن فرعون قد وجد أنه ليس من الحكمة قتل موسى لأنه قد يؤثر على توازن القوى عنده، وفي المقابل فإنه وجد أن موسى لا يُشكل خطراً عليه، فكانت النتيجة المنطقية له هو إهمال موسى عليه السلام. ولكن رسالة موسى عليه السلام لبني إسرائيل قد شجعتهم على التمرد، وأدى هذا إلى غضب بعض المقربين من فرعون فاعترضوا عليه، فأرضاهم فرعون وسمح لهم بمعاقبة بني إسرائيل المتمردين دون التعرض لموسى عليه السلام. قال الله تعالى: " وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ" (127 الأعراف).

وفشلت خطة الإهمال وذلك لظهور آيات الله العظام: " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ" (133 الأعراف).

وبدأت الشكاوي تتفاقم على فرعون، وكان فرعون خبيثا في ردها، والظاهر أنه جمعهم في مؤتمر عام واستمع لأفكارهم وشكاويهم، وكانت نتيجة المؤتمر أن أمر فرعون وزيره ببناء صرح كبير حتى يستطيع فرعون بلوغ السماء لينظر إذا كان إله موسى هناك؛ قال الله تعالى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ" (37 غافر).

إن ما فعله فرعون يشبه تماماً ما فعله صدام حسين في العراق: فعندما انهالت على صدَّام الانتقادات على نظام حكمه الديكتاتوري، قام بعمل استفتاء للشعب على الثقة في حكمه، وكانت نتيجة الاستفتاء أقرب للكمال. وبالطبع

لم يصدقه أحد ولكنه استطاع إسكات بعض الألسن. وهذا ما فعله فرعون تماماً وما صدقه أحد، ولكنه استطاع إسكات الكثير من الألسن وكأن حالهم يقول: فلننتظر حتى يبني فرعون هذا الصرح ثم نرى ما نفعل.

وما سبق كان كيدا من فرعون لكسب الوقت؛ إذ بدأ ينظر جديًّا في قتل موسى عليه السلام، وقد وضع الاجتماعات لهذا الأمر، ويبدو أن حزب الأفضلية لسبب أو لآخر كان يرفض هذا العمل؛ قال تعالى: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ" (26 غافر). وقال تعالى: ""يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ" (29 غافر).

وهنا نحن بحاجة للتوقف في أمرين: فمن الواضح أن يد فرعون (على تكبره وعلوه) لم تكن طليقة في قتل موسى. وهذا يقدم دلالة قوية على وجود سند لموسى في منظومة الحكم. وهذا الذي وصفناه أن موسى كان قريبا من حزب الأفضلية؛ أي قريبا من الحزب المسيطر على الأمور وقتها.

ولكن هنا يأتي سؤال ... كيف يتجرأ فرعون ويُفكر في قتل موسى وقد ظهر أن موسى ساحر محترف (على ظَنِّ قوم فرعون) وأنه يُلقي عصاه فإذا هي ثعبان مخيف، وله يد كذلك في الطوفان والضفادع والجراد؟ فما الذي يجعل فرعون يتجرأ على شخص كهذا؟

ويجب هنا أن نعترف أن فرعون كان شديد الذكاء وعالي الشجاعة، وضمن غلبة الظن فإن هناك رجلين امتلكا القوة العقلية المتميزة وكان بإمكانهما ضمان الدنيا والآخرة معًا، ولكن التكبر وعزة الإثم في نفسيهما منعاهما من ذلك. والأول هو عمرو بن هشام (أبو جهل): فقد كان نظام قريش أن دار الندوة لمن بلغ الأربعين، ودخلها أبو جهل وعمره ثلاث وثلاثون سنة. وقد قال الرسول عليه السلام: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين. ولو أن عمرًا بن هشام سبق عمر بن الخطاب لكان عزيز الدنيا والآخرة معًا. والرجل الثاني هو فرعون: فقد أرسل الله الرسل إلى الأمم، إلاّ موسى عليه السلام فقد أُرْسِلَ أولاً إلى فرعون، وكانت بدايات الرسالة قول الرسول عن الله "السَّلام على من اتَّبع الهدى" ولو أن فرعون أجاب بالسلام لكان أخذ الدنيا والآخرة معًا.

وقد يشعر البعض بالضيق لوصفنا فرعون أنه شديد الذكاء وعالي الشجاعة، ولكن الذكاء والشجاعة ليستا حكرا على المؤمنين الصالحين، بل ربما تجد شخصا تقيا صالح النية ولكن ينقصه الذكاء والشجاعة، وربما تجد مجرما فاجرا ولا ينقصه الذكاء والشجاعة .

ومن المناسب التعمق في هذه النقطة ... فالذكاء يتعلق بالمهارات المنطقية والإبداع في حل المشكلات التي أمامك وبطريقة ترضاها وتوصلك للأهداف التي وَضعتَها. وهذا هو الأمر التِّقني في الموضوع، ولكن هناك أمر أعلى منه، ولنسمي هذا الأمر مؤقتا "ألفا". و"ألفا" هي التي تجعلك تختار الأهداف الحكيمة والطريقة الصحيحة المناسبة: فقوة ألفا تكمن في القدرة على منع المشاعر المختلفة من التأثير على الحكمة والذكاء؛ إذ إن النفس تمر في موجات كبيرة متعاقبة من العزة والغيرة والضيق والحزن والفرح والاكتئاب والعزم إلخ. و"ألفا" هي التي تُوجهك في خضم هذه الموجات. وهنا المربط: هل عزة

النفس عندك ستمنعك من الصدق والأمانة، هل النجاح المستمر سيجعلك نرجسيا متعاليا على الآخرين ، هل شدة الضيق ستجعلك فظا غليظ القلب، إلخ .

وإذا كان موقع الذكاء في الدماغ فإن موقع ألفا هو في الصدر؛ لأن ألفا تتعلق بالقدرة على الإحاطة بالمشاعر. ومن الناحية العلمية فإن المشاعر تأتي من الدماغ، ولكننا نلمسها ونشعر بها في الصدر، وبالتالي فالقول "إن موقع ألفا في الصدر" هو وصف مجازي لكنه مفيد ومناسب بالضبط كقولنا "طلوع الشمس" ونحن نعلم من الناحية العلمية أن الشمس لا تتحرك بالنسبة للأرض، لكنه وصف مجازي مختصر مفيد.

ومن الممكن تسمية ألفا بـ "العقل" من باب تسمية أهم جزء في الشيء باسم الشيء نفسه. وألفا هو أهم جزء في القوة العقلية؛ فما الفائدة أن يكون الشخص ذكيا مبدعا عبقريا في حل المشكلات التي أمامه وذلك للوصول إلى أهدافه والتي تتعلق بإثم العزة والتحكم في حياة الآخرين والنجاح على مصائب الناس، فالعاطفة الصحيحة هي أهم بكثير من الذكاء. وربما يكون هذا هو تفسير الآية: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46 الحج).

ورجوعا إلى فرعون، فإن الرجل كان شديد الذكاء عالي الشجاعة ولكن إثم العزة والتعالي ونفخ الذات كانت أعلى وأكبر من الحكمة عنده. وكذلك كان أبو جهل؛ فقد كان شديد الذكاء عالي الهمة، ولكن إثم العزة والتعالي كانت أكبر من الحكمة عنده فاستحق لقب "أبي جهل".

وبالتالي لا نظن أن فرعون كان ينقصه الذكاء والشجاعة، ومن الطبيعي أنه قد خاف قليلا عندما رأى العصا تتحول إلى ثعبان مخيف، ولكن بعد عدة شهور طويلة من المناكفة والاستفزاز والقهر لبني إسرائيل فقد وجد فرعون أن موسى لم يؤذه أُنملة؛ ونعم فـ لموسى يد في الطوفان والضفادع والجراد (ونحن هنا نتحدث عما يحدث في وجدان فرعون في محاولة منا لتحليل سلوكياته وقراراته)، ولكن كل هذا لم يتسبب بأذية حقيقية لفرعون، وإنما تسبب بالإزعاج. وغلبة التخمين أن فرعون وجد أن موسى لا يستطيع إيذاءه، وهنا كان قرار فرعون: إذا كان موسى لا يستطيع أن يؤذي فرعون فهذا معناه أن فرعون قادر على إيذاء موسى.

وفشل فرعون في أخذ موافقة حزب الأفضلية على قتل موسى عليه السلام. فكانت له خطة أخرى، إذ يبدو أنه قرر استفزاز بني إسرائيل لكي يخرجوا خفية من مصر؛ وذلك لأن خروجهم سيعطيه العذر الكافي للقضاء على زعيم التمرد وبضربة واحدة؛ قال تعالى: "فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا" (103 الإسراء).

وما أن ظهر خروج موسى حتى أظهر فرعون الغضب الشديد لهذه الإهانة على سيادة الدولة وكرامتها، ونجح في جمع السلطات في يده وبدأ في تجميع القوات. ويبدو أن فرعون قد أدرك أنه من الأفضل عدم الاستعانة بجميع القوات الموجودة في العاصمة حيث إن هؤلاء يعرفون موسى ويعرفون المعجزات التي تحدث على يديه، فكان أن

أرسل إلى الحاميات المصرية في فلسطين كي يلاقوه في سيناء؛ قال تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (59 الشعراء).

والثابت المؤكد أن بني إسرائيل لم يرجعوا إلى مصر بعد أن خرجوا منها، وإنما استوطنوا وسط فلسطين (منطقة القدس ونابلس)، ولهذا فإننا نستطيع القول وبثقة عالية إن أهل المدائن في الآية هم الحاميات المصرية التي كانت مرابطة في فلسطين،، وهذا الموضوع قد شرحناه بتفصيل في الفصل السابق.

وهذا الأمر يتطلب أن يكون بحر العبور هو خليج العقبة؛ فقيام فرعون باستدعاء الحاميات المصرية في فلسطين يتطلب أن يكون موسى قد دخل إلى سيناء، وأن وظيفة هذه الحاميات منعه من الخروج منها، وبالتالي فإن البحر الذي حدث فيه العبور يتطلب أن يكون خليج العقبة (والذي هو لسانٌ من البحر الأحمر).

وهنا نستطيع أن نضع سيناريو لما حدث: فقد قرر فرعون القضاء على موسى بعيدا عن مصر (وبالتالي بعيدا عن تأثير حزب الأفضلية الذي ينتمي إليه موسى كونه ابن رمسيس الثالث بالتَّبني) وبدأ فرعون يجهز العدة لذلك. ولم يكن بحاجة لجمع الجند من ليبيا أو النوبة وإنما يكفي الحرس الخاص وقوات الاحتياط الموجودة في المدينة، وكذلك الحاميات الموجودة في فلسطين. وهنا فإنه أخذ يستفز موسى وقومه، وربما ساعدهم فرعون على سهولة الخروج.

وهنا أظهر فرعون شدة الغضب لفداحة الفاجعة على سيادة الدولة وكرامتها. والظاهر أنه استطاع جمع السلطات كلها في يده، وأرسل إلى الحاميات المصرية في فلسطين والموالين له من الكنعانيين والفلستينيين، وأعلن لهم النفير العام واستدعاهم إلى سيناء،، وخرج بعدها يُطارد موسى عليه السلام. وضمن هذا التحليل فإن الهدف لم يكن قتل بني إسرائيل وإنما قتل موسى وهارون وإرجاع بني إسرائيل إلى "اللُّحمة الوطنية".

وتقول الأسفار الإسرائيلية أن الذين خرجوا من مع موسى كانوا 600 ألف شخص غير الأولاد، وهذا عدد كبير جدا لا يُعْقل صحته؛ فاللُّوجيستك (إدارة المواصلات والتموين Logistics) لـ 600 ألف يخرجون فجأة ستكون معقدة جدا وغير ممكنة. وضمن حدود اللوجستيك الممكنة لعموم الأفراد فإننا نستطيع تقدير عدد 10 آلاف شخص بين رجال ونساء وأطفال، بل حتى هذا العدد يُعتبر كبيرا لجماعة من العموم غير المتدربين الذين يسعون للهرب من السلطة الحاكمة.

وضمن تقدير المؤرخين فقد كان عدد سكان مصر في عهد الأسرة العشرين حوالي 9 ملايين نسمة (المرجع: سليم حسن ج7 ص473)، وبنو إسرائيل كانوا من الأقليات، ولهذا لا نظن أن يزيد عددهم عن 100 ألف نسمة أو أكثر قليلا. ولهذا فإن غلبة التخمين أن الذين خرجوا مع موسى كانوا 10 آلاف شخص من العاصمة، وأن باقي بني إسرائيل قد لحقوا بهم بعد غرق فرعون كما سيتم توضيحه لاحقا.

وهناك قرينة على ذلك وهي الآيات: "فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ" (54 الشعراء). "والشِّرْذِمةُ: القليل من الناس، وقيل: الجماعةُ من الناس القليلة" (المرجع: لسان العرب)، ولهذا لا نتوقع أن يكون العدد الذي خرج مع موسى كثير.

ولم يخرج موسى باتجاه فلسطين، وإنما ذهب باتجاه شرم الشيخ ونستطيع أن نقول وبغلبة ظن عالية أن مكان العبور هو في شمال شرم الشيخ كما سيتم تفصيله في الفصل التالي. وتواجه فرعون وموسى في منطقة العبور، وهنا انشق البحر إلى جبلين عظيمين من الماء، وممر جاف سلكه بنو إسرائيل.

ماذا يفعل فرعون الآن؟

إن الحل الوحيد عنده هو أن يتجرع كبرياءه وينسحب. ولكن وبأقل من لحظة، انتبه فرعون أنه إذا استطاع أن يلحق بموسى وقومه فإن موسى لن يقدر أن يضم البحرين عليهما معًا. فأمر الجيش بسرعة الهجوم وسرعة اللحاق ببني إسرائيل.

الذي لم ينتبه له فرعون أن من فَرَّقَ البحرين قادر أن يضمهما معاً من أطرافها. ويبدو أن هذا ما حدث، فقد بدأت المياه تنغمر وببطء من الطرف القريب من فرعون حتى غرق فرعون. والدليل أن المياه قد انغمرت ببطء أنَّ الجبلين العظيمين لو انغمرا فجأة لكان موت فرعون لحظيًا، ولكن موت فرعون كان بطيئًا، حتى أنه قد تنازل في النهاية عن كبريائه وآمن بالله دون جدوى.

ونَجَّى الله جسد فرعون: "فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92 يونس). و"لمن خلفك" ليسوا بني إسرائيل وإنما الملأ من أهل مصر، وغلبة الظن أن الله قد أوصل جثة فرعون إلى شاطئ سيناء حيث معسكر فرعون، ومنه تم نقل الجثة إلى رعمسيس العاصمة. وضمن غلبة التخمين فإن أهل مصر لمَّا علموا بالكارثة التي حدثت لفرعون وجنوده والأكابر من القوم وشاهدوا جثة فرعون أمامهم فإنهم آمنوا أن لا خلاص لهم إلا السماح لمن بقي من بني إسرائيل الخروج من مصر وإلا فلن يمنع أحد موسى الرجوع إليهم،، بل ربما اعتبر بعضهم أن بني إسرائيل شؤم عليهم وأجبروهم على الخروج. وهذه هي النقطة التي ذكرناها سابقا: وهي أنه لم يخرج جميع بني إسرائيل مع موسى، وإنما خرج جزء منهم والباقي جاءهم لاحقا.

وهناك قرينة أخرى على ما سبق: "وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (89 يونس). والإيمان لا يأتي بعد العذاب، وبالتالي فالإيمان ليس لفرعون نفسه، وإنما للملأ من قومه، والإيمان هنا ليس التصديق بموسى ونبوته (فموسى لم يكن رسولا لأهل مصر)، وإنما الإيمان هنا هو الاقتناع الكامل بضرورة السماح لبني إسرائيل الخروج من مصر.

وتقول الآية: "فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ". وبالتالي فإنه من المؤكد أن الماء والغرق لم يُتلفا جسد فرعون. ولكن الانتقال من معسكر فرعون في سيناء إلى العاصمة بحاجة إلى عدة أيام. فهل تعرض جسده لبعض التحلل أثناء الطريق؟

والجواب ربما؛ فالنص ليس صريحا في هذا الشأن. ونتأمل أن يكون جسد فرعون قد تعرض لبعض التحلل أثناء الرجوع إلى العاصمة، وهذا التحلل ربما يظهر في فحص المومياء. ونأمل من المختصين القيام بفحص مومياء رمسيس السادس على أساس أنه شخص مشتبه به في كونه فرعون موسى. والظاهر أن تهشم عظام رمسيس السادس لم تُشجع المختصين التعمق في الفحص والتحليل لمومياته.

والظاهر أن غرق الجنود (والذي جُلُّهم من الحرس الخاص وبعض قوات الاحتياط في العاصمة وجزء كبير من الحاميات المصرية في فلسطين) قد فرض على الحاكم الجديد (رمسيس السابع) استدعاء باقي الحاميات المصرية في فلسطين وذلك لحفظ الأمن في مصر. وربما كانت النية وقتها أن يكون الاستدعاء مؤقتا، ولكن لظروف داخلية فإن هذه الحاميات لم ترجع بعدها إلى فلسطين.

الفصل الخامس – مكان العبور والقصة المتعلقة به

نستطيع أن نقول وبغلبة ظن عالية أن موقع العبور كان في شرم الشيخ أمام ريف جوردان (Gordon Reef). وأول من قَدَّم هذه الفرضية هو ستيفن رود (Steven Rudd) في كتابه Exodus Route Restored. وقد استدل ستيفن على هذا المكان من خلال تحليله للأسفار اليهودية في العهد القديم. وهنا سنقوم بالتدليل على صحة هذه الفرضية باستخدام التحليلات المنطقية المبنية على النصوص القرآنية. ومع أننا نظن أن تحليل ستيفن للمكان كان دقيقا جدا، إلا أننا نختلف معه في القصة والتفاصيل، فهو يظن أن فرعون الخروج هو تحتمس الثالث عام 1446 ق.م ونحن نظنه رمسيس السادس، وستيفن يظن عدد بني إسرائيل الذين عبروا البحر ثلاثة ملايين نسمة، ولكننا نستبعد أن يتجاوز عددهم الـ 10 آلاف كما ذكرنا في الفصل السابق.

تقول الآية: "فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (59 الشعراء).

وهذا يتطلب الترجيح (كما شرحنا في الفصل السابق) أن هؤلاء هم الحاميات المصرية في فلسطين، وأن منطقة المطاردة هي سيناء وليست شرق مصر. أي أن خروج الحاميات من فلسطين لم يكن لمنع موسى الخروج من دلتا النيل وإنما لمنع موسى الخروج من سيناء. وهذا الاستنتاج يتطلب القول إن بحر العبور كان خليج العقبة (وليس خليج السويس، وليس بحر التماسيح وليس الفروع في نهر النيل).

والمعجزة الصريحة في القرآن هي شق البحر وجفاف طريق العبور، ولا توجد معجزة أخرى في هذا الأمر. وهذا يتطلب الاستنتاج أن الله لم ينحت الطريق أدراجا وسلالم، ولم يضع جسرا ولم يُعَبِّد طريقا، وإنما العبور نفسه قد تم ضمن القدرة البشرية.

وهذا معناه أن طريق العبور كان (ولا يزال) صالحا للاستخدام لولا وجود الماء.

وهنا السؤال ... لنفترض أن البحر الأحمر قد جفَّ كله تماما، فأين هو المسار الذي يصلح (دون تعديل أو هندسة) لانتقال البشر من سيناء إلى الجزيرة العربية؟

والجواب: هو مسار واحد فقط وهو المسار بين شرم الشيخ (في سيناء) إلى رأس الشيخ حميد (في الجزيرة العربية). وسنسمي هذا المسار بـ "طريق الرِّيفات" لأنه يمر على يَسار عدة ريفات (Reefs) والتي سنشرح أمرها لاحقا.

لندخل إلى التفاصيل:

البحر الأحمر يفصل بين قارتي أسيا وأفريقيا. ويمر في البحر الأحمر الصَّدْع القاري (Continental Rift) والذي يفصل بين هاتين القارتين. ولهذا السبب فالبحر الأحمر عميق ويصل إلى 1200 متر. وعلى جانبي خليج العقبة (والبحر الأحمر) يوجد الرَّف القاري (Continental Shelf)، هو امتداد اليابسة في الماء. وعندما تكون على شاطيء خليج العقبة وتدخل إلى البحر فستجد أن اليابسة تنحدر إلى داخل البحر وبدرجة بسيطة،

ولكن هذا فقط لعدة مئات من الأمتار، وفجأة تنحدر اليابسة وبشكل حاد جدا، وهذا هو المنحدر القاري (Continental Slope)، وينتهي المنحدر إلى قاع البحر، والذي يُسَمَّى عِلْمِيًّا بـ السهل السحيق (Abyssal plain). والخط الفاصل بين الرف والمنحدر هو حافة الرف القاري (شكل 5.1).

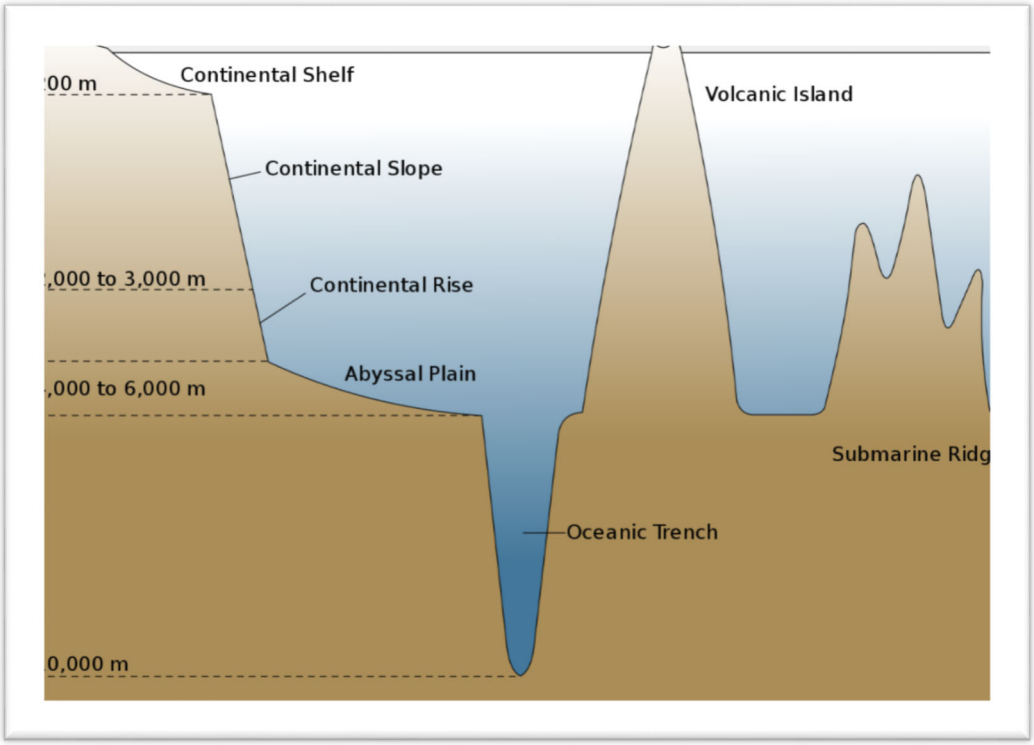

شكل 5.1: مقطع عرضي للبحر، مع التنبيه أننا جعلنا المنحدر والمرتفع القاري (Continental Rise) جزءا واحدا حيث إن عمق البحر الأحمر ليس كالمحيط الأطلنطي (المرجع: Chris_huh).

وتقع حافة الرف في البحر الأحمر على بعد حوالي 1.5 كم من الشاطيء، وتكون الحافة على عمق حوالي 300 متر، وبعدها تنحدر اليابسة وبشكل حاد جدا إلى قاع البحر في عمق يتراوح بين 800 إلى 1200 متر. وإذا افترضنا أن البحر الأحمر قد جُف تماما فإنه لا يمكن للبشر أن يعبروا المكان (بشكل طبيعي دون هندسة) نزولا من الحافة القارية .

وهذه الحافة متصلة ومتواصلة على ساحل البحر الأحمر (وخليج العقبة) باستثناء منطقة الرِّيفات .

وقد وضعنا في شكل 5.2 الخارطة لمضائق تيران. وانتبه لوجود اللون الأزرق الداكن وهو لون البحر الملاصق للشاطيء (وهو يُمثل الرَّف القاري)، واللون الأزرق الفاتح وهو يُمثل السهل السحيق. والحدود بينهما هي حافة الرَّف.

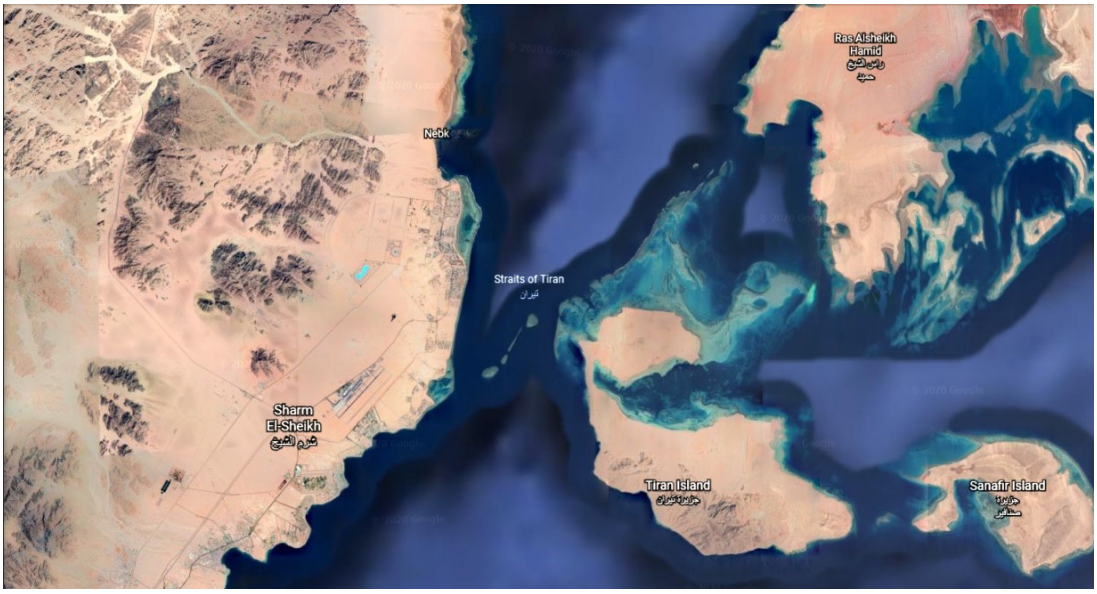

شكل 5.2 مضائق تيران (المرجع: جوجل إيرث).

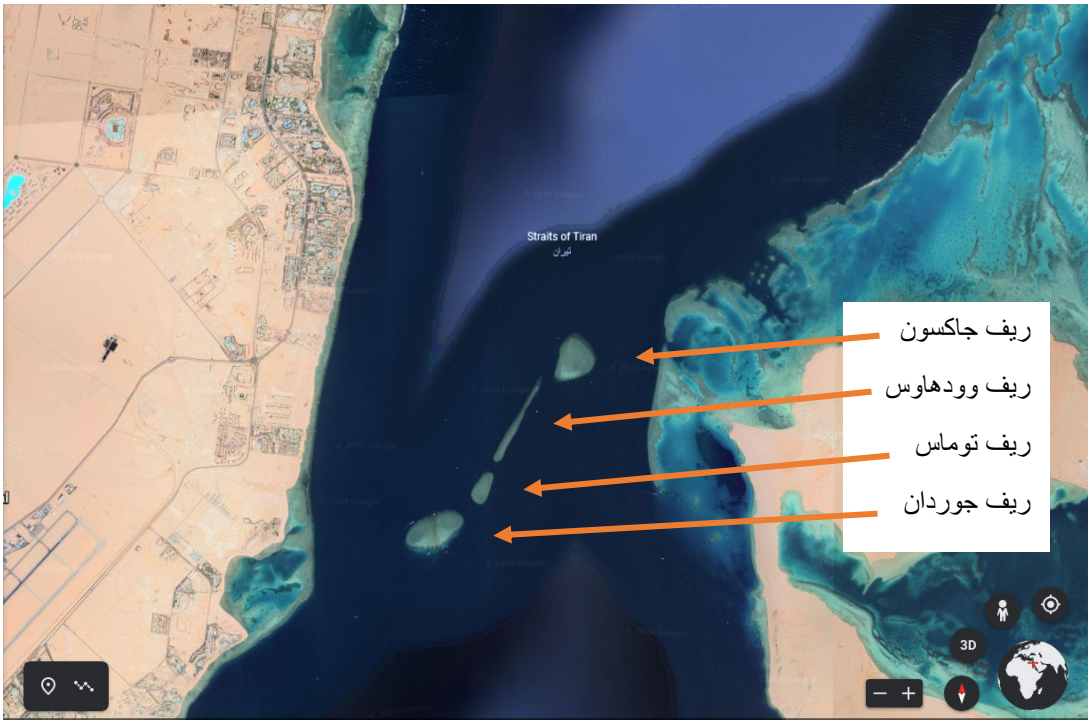

شكل 5.3 مضائق تيران وقد حددنا فيه الرِّيفات (المرجع: جوجل إيرث).

والسبب في اختلاف اللون أن البحر فوق السهل السحيق يكون فيه من العمق ما يكفي لامتصاص كامل أطياف الشمس باستثناء الطيف الأزرق الذي يعكسه ولهذا نرى البحر فوق السهل السحيق أزرقا فاتحا. وأما في المناطق الضحلة فإن العمق لا يكفي، وهنا فإن الضوء الذي ينعكس يعتمد على لون الرف القاري، وإذا كان على سطحه الشعاب المرجانية فسيكون اللون أزرقا داكنا.

ومن المفيد هنا أن نشرح أمر الرِّيفات:

في شكل 5.3 حددنا أربع ريفات وهي: ريف جوردان (Gordan Reef)، وريف توماس(Thomas Reef) ، وريف وودهاوس(Wood House Reef) ، وريف جاكسون (Jackson Reef) . والرِّيف هو جبل بحري يكون على مستوى البحر أو أقل منه. ولو ارتفع الجبل عن سطح البحر لكان جزيرة، ولكن الريف لا يرتفع عن سطح البحر، وتنمو الشعاب المرجانية بكثافة في مثل هذه الجبال.

وارتفاع الريفات السابقة يصل لمستوى البحر، ويوجد فوق ريف جوردان حطام سفينة مالت إليه سنة 1981 (شكل 5.4)، ويوجد فوق ريف جاكسون حطام سفينة أخرى مالت إليه سنة 1985.

شكل 5.4: حطام سفينة على ريف جوردان – (المرجع: Pxfuel)

وانتبه الآن لوجود مسار واضح ذي لون أزرق داكن (في شكل 5.2) يربط بين شرم الشيخ ورأس الشيخ (حميد). وعمق هذا المسار حوالي 250 متر. والنزول من شرم الشيخ إلى قاع المسار يكون بدرجة انحدار مقبولة ومقدور عليها. وشكل 5.5 يضع خارطة كنتورية لهذه المنطقة .

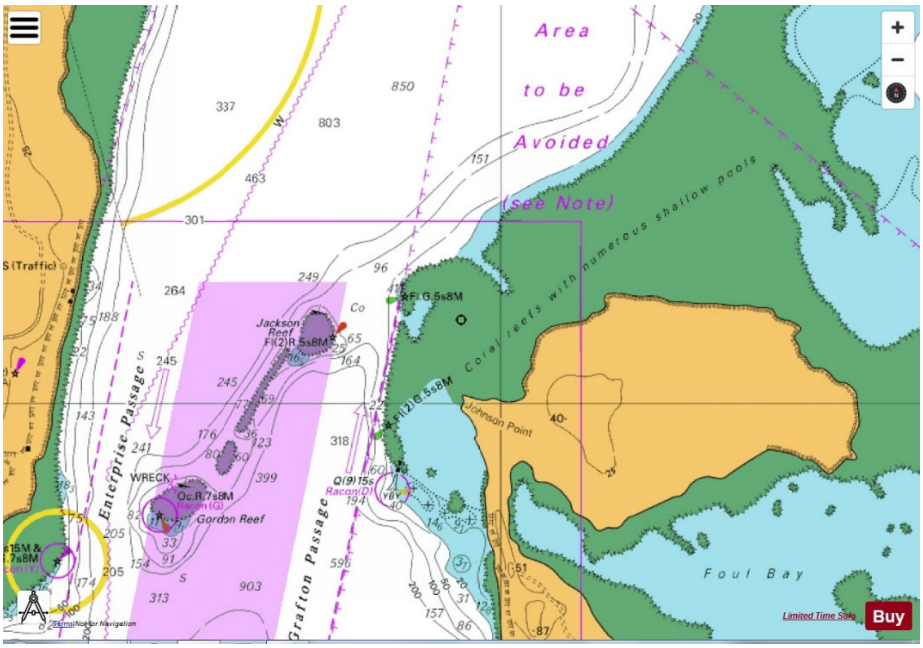

شكل 5.5 : خارطة كونتورية لمضائق تيران. المرجع: GNC

وقد أشار ستيفن في صفحة التعريف بكتابه أن المسار ينزل إلى عمق 250 متر ولمسافة 2 كم ثم يرتفع إلى 50 متر ولمسافة 14 كم، ثم يرتفع إلى سطح الشاطيء في الجزيرة العربية (رأس الشيخ حميد). وضمن الخريطة الكنتورية في الشكل 5.5، فإن هناك شريطا عريضا في المسار يتوارح العمق فيه بين 20 إلى 100 متر.

وضمن غلبة التخمين فإن المسار الذي اتبعه بني إسرائيل هو المسار بين أ.خ في الشكل 5.6، وفيه فإن المسار أ.ب هو مسار النزول من شرم الشيخ إلى طريق الرِّيفات وهو حوالي 1.5 كم وإلى عمق 250 متر. والمسار ب.ت وهو مسار يرتفع إلى حوالي 80 متر وطوله حوالي 4 كم. والمسار ت.ح وهو مسار يقع ضمن عمق ثابت نسبيا معدله 80 متر وطوله حوالي 11 كم، والمسار ح.خ وهو مسار الطلوع إلى رأس الشيخ وهو حوالي 1.5 كم. ويكون المجموع حوالي 18 كم.

شكل 5.6: المسار المقترح

وبناء على هذا الاستنتاج فإننا نستطيع تقديم التخمينات التالية للسيناريو الممكن في قصة العبور ونهاية فرعون (وسنضع القرائن المتوفرة على هذا السيناريو في آخره):

يصل قوم موسى إلى شرم الشيخ ويُخيمون هناك.

يلحق بهم فرعون ويراهم ويرونه.

ينتظر فرعون اكتمال العدد والعدة ليهجم على قوم موسى.

بدأ قوم موسى إلقاء الملامة عليه، ولكن موسى عليه السلام كان واثقا تماما من النتيجة: " فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62 الشعراء).

ويضرب موسى البحر بعصاه، وينشق البحر. وفي الأسفار اليهودية فإن البحر قد انشق في الليل ولكن انتظر بنو إسرائيل الى الصباح حتى يجف المكان. وهذا الامر يتماشى مع منطقية القصة؛ إذ لو شاهد فرعون البحر ينشق فلربما تردد في المكابرة، ولكن فرعون رأي البحر وقت الصباح بعد أن انشق.

وهنا تبدأ الدراماتية (Dramatic) في القصة ... فمع أن مستوى النزول مقبول إلا أنه ليس مريحا تماما، وبسبب العجلة والخوف الشديد فقد ترك بنو إسرائيل طعامهم ودوابهم وأغراضهم الثقيلة وحملوا أطفالهم ونزلوا إلى طريق الريفات.

وهنا تفاجأ فرعون بالذي حدث، والعدد والعدة عنده لم تكتمل، وأصبح يضرب الأخماس في الأسداس؛ فالأمر هنا ليس كالثعبان أو الضفادع وإنما الأمر أكبر جللا من ذي قبل. وهنا فإن الله قد أعطى فرعون الفرصة الأخيرة كي يتراجع. وأمَّا فرعون فإنه كان يُفكر في سمعته وهيبته ونظرة الناس إليه فيما إذا رجع إلى مصر خائبا. وقد تحدثنا في الفصل السابق عن السبب الذي جَرَّأ فرعون التفكير في قتل موسى: وهو أن موسى لم يقم بإيذاء فرعون مع كل المناكفات والاستفزازات والجرائم التي قام بها فرعون، وهنا اقتنع فرعون أن موسى غير قادر على الإيذاء. ولكن ماذا يفعل هنا، فقد شق موسى البحر قسمين، فهل يلحقه؟

وبلمح البصر انتبه فرعون أنه إذا استطاع اللحاق بموسى فإن موسى لن يستطيع إرجاع البحر كما كان، وخصوصا أن بني إسرائيل كانوا قريبين وعلى مرمى اليد.

وهكذا اتخذ فرعون القرار وأمر الجنود اللحاق ببني إسرائيل، وتَقدمهم فرعون كي يُشجعهم. وهنا يجب التأكيد أن فرعون لا ينقصه الذكاء والشجاعة؛ فقد رأى ثعبان موسى يلتهم إفك السحرة ولم يرتعب ولم يرتدع. وأريد التنبيه أن التقوى وصلاح النية ليس لها (بالضرورة) علاقة بالذكاء والشجاعة؛ فربما تجد تقيا مؤمنا ولكن ينقصه الذكاء والشجاعة، وربما تجد كافرا مجرما ولا ينقصه الذكاء والشجاعة.

ولكن هنا سؤال ... كيف يرى الجنود البحر مُنشقًا إلى قسمين، وكل قِسْمٍ كالجبل العظيم، ومع هذا يَتَّبعون فرعون ويدخلون خلفه بين البحرين؟

والجواب الرئيسي هو الانضباط في الجنود، والظاهر أن الجنود المصريين قد تدربوا على الاضباط الشديد منذ عهد تحتمس الثالث، ولهذا السبب استطاع الفراعنة السيطرة على الكثير من الأقاليم حولهم. وهذا كذلك يُفسر كيف استطاع رمسيس الثالث حماية مصر خلال كارثة العصر البرونزي في حين سقطت الحضارات الأخرى العظيمة.

ولكن هناك عدة أجوبة أخرى ثانوية ممكنة:

- فربما أوحى فرعون لجنوده أنه هو الذي شق البحر (وهذا تفسير دارج في المراجع).

- وربما يكون البحر بعيدا من اليمين واليسار، فنص الآية يذكر أن البحر كان كالطود العظيم، ولكن النص لا يمنع الافتراض أن البحر كان بعيدا منهم، وبالتالي لم يشعر الجنود بالفزع من إطاعة فرعون.

وكما نُخَمِّن أن بني إسرائيل قد تركوا دوابهم ومواشيهم على الشاطئ (أي حد اليابسة قبل شق البحر) فإن فرعون كذلك قد ترك عرباته وخيوله على الشاطئ، فالنزول كان ممكنا لكنه ليس مُعَبَّدًا ولا مريحا، ومن الصعب إنزال الخيول بسهولة إلى عمق 250 متر،، ومن الطبيعي، وهذه الحالة، أن تبقى العربات على الشاطئ.

الآن ... قوم بني إسرائيل ليسوا جنودا مدربين. وسرعة الشخص في الطريق الُمعَبَّد المُريح هي حوالي 5 كم/الساعة، ولكن طريق الريفات لم يكن مُعَبَّدًا، ويوجد مع القوم أطفال وشيوخ. وبالتالي يمكننا تقدير سرعتهم بحوالي 2 كم/الساعة.

وأما الجنود ذوي الانضباط فسرعتهم قد تصل إلى 7 كم/الساعة، وبالتالي من الممكن القول إن سرعتهم في طريق الريفات قد تصل إلى 5 كم/الساعة.

والتحليل السابق منطقي، وبالتالي فإن الحل الممكن الذي يمنع فرعون من اللحاق بموسى هو القول إن الماء قد بدأ يرتفع في الجزء الذي يسير عليه فرعون. وهذا الذي نظنه: وهو أن فرعون بعد أن نزل إلى طريق الريفات (النقطة ت في شكل 5.6) وأصبح بنو إسرائيل على قاب قوسين فإن الماء قد بدأ يرتفع تحت قدميه، مما جعله يُبطئ في سرعته. ولم يكن لفرعون أي فرصة للرجوع الآن، وكان خياره الوحيد هو أن يجتهد في اللحاق بموسى قبل أن يغرق في الماء (وتوجد قرينتان على هذا الاستنتاج سنشرحهما لاحقا).

الآن ... الماء لم تكن ترتفع بشدة ولكنها كانت ترتفع بما يكفي لإبطاء سرعة فرعون، وبما يسمح لفرعون الأمل بقدرته على اللحاق بموسى.

ومسافة الطريق حوالي 18 كم، وهذا معناه أن الطريق قد أخذ حوالي 9 ساعات من بني إسرائيل وذلك من مطلع الشمس وحتى قُبيل الغروب. ونظن أن فرعون وجنوده كانوا على إثرهم ولكن الماء كان يرتفع بهدوء تحت أقدامهم، وعندما صعد بنو إسرائيل من طريق الريفات إلى رأس الشيخ فإن فرعون قد كان أسفل منهم في آخر طريق الرِّيفات (النقطة ح في شكل 5.6)، وكانوا (فرعون وجنوده) في غاية التعب والإنهاك وقد وصل الماء إلى حناجرهم، وحاولوا الصعود ولكنهم كانوا يسقطون من شدة التعب حتى غرقوا جميعا.

والقرينة على ذلك: "وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50 البقرة)، وهذا يدل أن فرعون كان على مقربة من بني إسرائيل ولم يغرق في مكان بعيد .

وهناك قرينة أخرى: "وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78 طه) ، ويوجد في الآيتين (وآيات أخرى) تفريق بين البحر واليم، فالله قد شق البحر ولكن فرعون قد غرق في اليم، فما الفرق بينهما؟

وهناك خلاف في معنى اليم، ومنهم من يقول إنه "البحرُ الذي لا يُدْرَكُ قَعْرُه ولا شَطَّاه" ولكن ابن منظور (في لسان العرب) يرفض هذا المعنى استنادا للآية: "فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بالساحل" (جزء من 39 طه). ونستطيع تحديد معنى

اليم عن طريق المقارنة بين الآيات: فعلى غلبة الظن أن الفراعنة لم يبنوا قصورهم على نهر النيل مباشرة ، بل إن العاصمة رعمسيس لم تكن على نهر النيل وإنما كانت على فرع من فروعه. وعلى غلبة التخمين فإن قصر فرعون كان مبنيًّا بمحاذاة ترعة تصل إلى أحد فروع النيل، وهذا يفسر الآية: "أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ" (جزء من 39 طه). والترعة لا تكون عميقة (وربما لا تزيد عن 3 أمتار).

وهذا الذي يغلب على الظن: أن اليم هو البحر/النهر غير العميق. وهذا يتوافق مع الآيات ويتوافق مع السيناريو الذي وضعناه: فالله قد شق البحر، ولكن فرعون قد غرق في ماء عمقه متران (أو أكثر قليلا)؛ فالجنود كانوا بدروعهم، وكانوا منهكين من مشي سريع في منطقة ترتفع فيها المياه تحت أقدامهم. وعندما وصل الماء إلى حناجرهم كان التعب قد وصل مداه، وبسبب الماء فقد ترطبت (من رطوبة) الصخور في طريق الصعود. وبسبب الرطوبة والتعب فإنهم كلما حاولوا الصعود إلى رأس الشيخ فإنهم كانوا يسقطون. وهنا فإنه يكفي لعمق الماء أن يكون مترين كي يغرق القوم فيه.

وهذا تفسير منطقي مقبول لشرح الآيات: فالله قد شق البحر ولكن فرعون قد غرق في اليم. وهذا يضع قرينة جيدة تُساند السيناريو الذي وضعناه.

وكذلك يُساند ما سبق القرينة التي ذكرناها في الفصل السابق: أن البحر لو ارتد كاملا لكان موت فرعون لحظيا، ولكن البحر قد رجع إلى وضعه بشكل بطيء وهادئ، وكان فرعون يُكابر ويُكابر حتى خرجت منه كلمات الإيمان رغما عن نفسه.

وهناك قرينة أخرى: "فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (40 الذاريات)، والنبذ في اللغة: "طرحك الشيء من يدك أَمامك أَو وراءك. نَبَذْتُ الشيء أَنْبِذُه نَبْذاً إِذا أَلقيته من يد"، "ونبذت الشيء أَيضاً إِذا رميته وأَبعدته" (المرجع: لسان العرب). وبالتالي نستطيع أن نقول إن فرعون لم يغرق فقط وإنما قد تم طرحه في الماء، وهذا يتوافق مع السيناريو الذي وضعناه: وذلك في محاولات الجنود الصعود إلى رأس الشيخ ولكنهم كانوا يسقطون في كل مرة بسبب شدة التعب والإنهاك.

وغلبة التخمين أن فرعون وجنوده قد غرقوا في الدائرة A (شكل 5.6)، على بعد حوالي 1.5 كم من شاطئ رأس الشيخ. ولا نظن الغواص سيجد أية آثار لهم هناك؛ فالمضيق يقع بين جبال بَحْرية، وعوامل التعرية تقوم بشكل متواصل بِحَتِّ هذه الجبال، والفتات الناتج يسقط في المضيق. ولهذا يزداد ارتفاع قاع البحر في المضيق مع الوقت. وإذا كانت هناك آثار باقية من جنود فرعون فستكون على عمق عدة أقدام تحت قاع البحر، واستكشافها يحتاج إلى أجهزة خاصة.

والدراماتية في قصتنا لم تنتهِ بعد:

فقد ترك بنو إسرائيل دوابهم ومواشيهم في سيناء وعبروا الطريق بعجلة وخوف شديدين. ووصلوا إلى الجزيرة العربية بعد 9 ساعات من المشي المتواصل وشاهدوا بأعينهم غرق فرعون وجنوده، وهنا فإن الكابوس الذي كانوا يعيشون فيه منذ سنوات طويلة قد انتهى. وهذا الشعور المفاجئ بالأمان مع الإنهاك الشديد قد جعلهم يخلدون إلى النوم مباشرة بعد الغروب.

وربما استيقظوا بعد مطلع الشمس، وهنا انتبهوا لمشكلة جديدة: لا يوجد ما يكفي من الماء والطعام. ومن المتوقع في هذه الحالة أن يتم تنظيم فرق كشافة، كل فريق من رجلين،، وكل فريق يتحرك باتجاه ولمدة أربع ساعات ذهابا وأربع ساعات إيابا،، وذلك للبحث عن منبع ماء أو مضرب قبيلة أو صيد. والظاهر أن هذه المنطقة لم يكن فيها أي شيء، ورجعت جميع الفرق إلى المُخَيَّم دون نجاح. وهنا ظهرت مشكلة أخرى لا تقل خطورتها عن فرعون نفسه، فلا يوجد في المكان ماء ولا طعام، بل إن طعامهم وشرابهم قد نفذ تماما. وهنا أخذ بنو إسرائيل يستجيرون بموسى. وهنا دعا موسى الله فأمره الله أن يضرب الحجر فانبثق منه الماء، وأنزل الله إلى بني إسرائيل المن السلوى، وكان ذلك قبيل الغروب.

والقرينة على ما سبق هو أن يوم الصيام الوحيد المفروض على بني إسرائيل في التوراة هو يوم الغفران –– (Yom Kippur)، وفيه يصوم اليهود من المغرب إلى مغرب اليوم التالي. والظاهر أن هذا اليوم قد فُرِضَ عليهم استغفارا لعبادتهم العجل، ولهذا تمت تسميته: يوم الغفران. ولكننا نستطيع القول وبدرجة جيدة من الثقة أنه كذلك يوم يشكرون الله الذي أنجاهم من فرعون، والذي أنجاهم بعدها من العطش والجوع.

ويجب التنبيه أن القرينة السابقة ليست شديدة القوة ولكن ضمن سياق الأحداث فإننا نراها جيدة؛ فإنه من المستبعد والقوم في غاية الخوف والعجلة في النزول إلى طريق الرِّيفات (وهو نزول ليس مريحا) أن يكون بنو إسرائيل قد أخذوا دوابهم ومواشيهم معهم. ولهذا فقد وصلوا إلى الجزيرة العربية بلا مؤونة، وهذا يُقَدِّم فرضية جيدة أن الماء والمن والسلوى قد أعطيت لهم بعد العبور، وأن الصيام هو عبادة فرضت على اليهود لتذكيرهم بنعمة الله عليهم إذ نجاهم من فرعون ونجاهم من العطش والجوع.

وهنا نأتي إلى سؤال مهم ... ما الداعي لكل ما سبق؟ ألم يكن أسهل أن يوهب موسى قوة حقيقة رادعة مخيفة، فيرتدع فرعون ويرتدع جنوده، ويخرج موسى وبنو إسرائيل من مصر دون مطاردة وشق بحر وغرق فرعون؟

والجواب هو أن المطاردة وشق البحر وغرق فرعون هي أمور من الله لا نعلم جميع تفاصيلها، ولكننا نستطيع القول إن كل أمر له نظام؛ فالمعجزات لها نظام، والعقاب الذي يأتي من خارج الكون (مثل ريح عاد وصيحة ثمود وسِجِّيل سدوم) له نظام.

ولنضع المثال لتوضيح هذه الفكرة: لقد مكث نوح في دعوة قومه مدة 950 سنة، وهذه المدة غير طبيعية للبشر (قديما وحديثا) بل إن هذا العمر هو غير طبيعي لجميع الكائنات الحية التي تدب على الأرض. فهل هذه المدة هي معجزة لنوح؟

والجواب على غلبة التخمين هو لا، فهذه لم تكن معجزة وإنما ضرورة حتمية.

لماذا؟

لأن قوم نوح لم يقوموا بأي عمل يستوجب إنزال العقوبة عليهم ولم يعتزلهم رسولهم،، ومع أن مكرهم كان شديدا واستطاعوا تنفير الناس من حوله (بل إن زوجته وابنه لم يؤمنا به) إلا أنهم لم يطردوه ولم يحاولوا قتله ولم يُهددوه بالقتل، وإنما تركوه وقاموا بتنفير الناس منه. وحيث إن رسل الله يجب أن تنتصر، وحيث إن قوم نوح لم

يؤمنوا ولم يقوموا بأي عمل يستوجب العذاب ولم يعتزلهم رسولهم ("وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" – 33 الأنفال) فإن الحل الوحيد هو أن يَطول عمر نوح. وجاء عقابهم في النهاية عندما يئس نوح منهم تماما ودعا عليهم واعتزلهم (مع أن زوجته وابنه منهم).

وللمقارنة فقد جاء عقاب المدينة ذات الثلاثة رسل (في سورة ياسين) بسبب قيام أهل المدينة بتهديد الرسل تهديدا حقيقيا بالقتل. وجاء عقاب ثمود بسبب طلبهم معجزة بينة فخلق الله لهم ناقة من الصخر، فقتلوها، وهنا استحقوا العقوبة. وجاء عقاب سدوم لأن أهلها حَجَروا على لوط وحاولوا اغتصاب ضيوفه. وهذه الأعمال كانت شديدة الإجرام ومما يستوجب إنزال العقوبة من السماء. والهدف مما سبق هو القول إن إنزال العقوبة على الكافرين وفرض الأمور بالقوة الخارجة عن نظام الكون يأتي ضمن نظام محدد.

وهنا نرجع لقصة فرعون ... فما فعله في مصر كان ظلما وتكبرا وإجراما كبيرا، ولكنه لم يصل إلى مستوى إنزال العقوبة عليه من السماء. ولكن مطاردته لموسى والنية الصريحة الواضحة لقتله كانت السبب في إغراقه وبطريقة خارجة عن نظام الكون. وهذا الذي ذكرناه في الفقرات الأولى في هذا الفصل: إن فرعون قد أُعطيت له الفرصة الأخيرة قبل نزوله إلى طريق الريفات، وحقت عليه العقوبة بعد أن نزل.

الفصل السادس – من هو قارون؟

لقد تم ذِكْر قارون في ثلاثة مواضع في القرآن:

- إِنَّ **قَارُونَ** كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ **قَارُونُ** إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81 القصص).
- وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) **وَقَارُونَ** وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40 العنكبوت).
- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ **وَقَارُونَ** فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24 غافر).

ولا يوجد أي ذِكْر لقارون (حتى اللحظة) إلا في القرآن، وسنقوم هنا بسرد ما نعرفه عن قارون ضمن النقاط التالية:

1. قارون هو من بني إسرائيل، ومع هذا فقد كان من أغنى أغنياء البلاد. فهل يوجد هنا تناقض؟ لا تناقض؛ فهناك عدة أمثلة مشابهة: فقد كان الأفارقة في أمريكا مضطهدين ومستبعدين، ومع ذلك ظهر منهم الأغنياء. وكان اليهود في أوروبا قبل القرن التاسع عشر مضطهدين ومستبعدين ومع ذلك ظهر منهم عائلات يهودية شديدة الثراء. فهذه الأمور تحصل ولأسباب مختلفة.

2. لقد فسر البعض آية "إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي" (في سورة القصص) أن قارون كان يعلم كيفية تحويل الحديد إلى ذهب وهذا سبب ثرائه، إلَّا أن هذا ليس صريحا في النص. وليس من الضروري أن يكون العلم هنا هو الكيمياء، بل غلبة الظن أن المقصود هي المهارات،، وهذا أقرب للواقع؛ فاليهود الذي حصلوا على ثروات طائلة في عهد الاضطهاد الأوروبي في القرن السابع عشر (مثلا) كانوا يملكون فنون المجاملة والمداراة والتجارة، وهذه الفنون إذا اجتمعت بطريقة مناسبة (أي بلا فجاجة ولا استهجان ولا مذلة) فسيكون لصاحبها فرصة طيبة في الثَّراء.

3. والظاهر أن الآيات السابقة في سورة العنكبوت مرتبة؛ فالآية تتحدث عن عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان، ثم تتحدث عن التهلكات: الريح والصيحة والخسف والغرق. مما يجعلنا نظن أن قارون قد هلك قبل فرعون. وكذلك فإن هلاك قارون لم يكن بطريقة طبيعية؛ أي أنه لم يحدث زلزال تسبب في خسف قارون، وإنما هلاك قارون قد تم بطريقة خارجة عن القوانين الكونية مثلها مثل هلاك عاد وثمود.

وقد شرحنا في الفصل الثاني عن السبب الذي جرأ فرعون التفكير في قتل موسى؛ وهو أن موسى لم يقم بأي عمل يُؤدي إلى أذية فرعون وأعوانه. ومن الواضح أن قارون كان من أعوان فرعون. وإذا هلك قارون بطريقة خارجة عن قوانين الكون فإن هذا يُخالف المنطقية التي شرحناها في جُرأة فرعون.

ولهذا السبب فنحن نريد سيناريو يتوافق مع الآية لفظًا ومعنًى، وفي الوقت نفسه يتوافق مع المنطقية السابقة. والسيناريو الذي نقترحه هو أن قارون لم يخرج مع فرعون في مطاردة موسى (وإلا لكان غرق معهم) وإنما بقي في العاصمة، ولكن هلاك قارون كان قبل غرق فرعون. ولا توجد أي قرينة على هذا السيناريو إلا أنه يتوافق مع الآيات ويتوافق مع المنطقية التي طرحناها في جرأة فرعون.

الآن ... قارون كان ثريا جدا، وله أب وأم وله زوجات وله أولاد وله بنات، وربما بعضهم قد مات قبله. ومن المؤكد أن قارون لن يتجرأ بتحنيطهم ودفنهم في وادي الملوك، فمهما كان ثريا إلا أنه يبقى من الأقليات المهمشة، ولكنه من المؤكد أنه قد حَنَّطَ ودفن أولاده بكامل مظاهر الفخامة في رعمسيس العاصمة. ونأمل أن يكتشف الأثريون مومياء لأحد أقرباء قارون ويكون اسم قارون مكتوبا في الضريح، ونعرف عندها شيئا من قصته.

الفصل السابع – من هو هامان؟

ورد هامان في القرآن في خمسة مواضع:

- وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ **وَهَامَانَ** وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6) وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ **وَهَامَانَ** وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8 القصص).
- وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا **هَامَانُ** عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38 القصص)
- وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ **وَهَامَانَ** وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40 العنكبوت).
- وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ **وَهَامَانَ** وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24 غافر).
- وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا **هَامَانُ** ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37 غافر).

والظاهر أنه كان أحد المستشارين ذوي الكلمة في البلاط الفرعوني، ولكننا لا نعلم حتى اللحظة أي شيء عن هذا الهامان. وهنا نسأل: هل هامان هو اسم منصب (مثل فرعون)، أم اسم لقب، أم اسم علم (مثل جالوت)، أو اسم <u>غير رسمي</u> لمنصب أو لقب؟

ولا يوجد عندنا أي علم في هذا الموضوع. والمشكلة أن هامان هو الاسم المُعَرَّب من الاسم الأصلي، ومن الصعب استنتاج الاسم الأصلي من الاسم المعرب. فمثلا هرقل هو الاسم المعرب من إركليس، ونستطيع أن نرى أن تعريب إركليس هو هرقل، ولا خلاف في ذلك، ولكننا لا نستطيع استنتاج إركليس من هرقل. والحل الوحيد هو أن نستعرض الأسماء الموجودة في النقوش الفرعونية (ونستكشف المزيد منها) على الأمل أن نجد يوما اسما يمكن تعريبه إلى "هامان".

وتوجد نقطة من المناسب التنبيه لها: فقد كان اليونانيون ينطقون (وهو مكافئ للتعريب عندنا نحن العرب) "أمنحتب الثالث" (واسمه القبطي: أمون حتب) بـ "ممنون" (سليم حسن ج8 ص210).

وهنا نسأل ... هل يمكننا اختصار الأسماء التي تبدأ بـ آمون وتعريبها بـ "هامان"! وقد وجدت هذا الأمر يستحق المحاولة وبحث في أسماء الوزراء والأعوان في عهد رمسيس السادس ولم أجد سوى ابن رمسيس السادس: "آمون هير خبيشيف" (Amunherkhepeshef)، ولكنه مات قبل رمسيس السادس.

وإذا ثبت بشكل لا غبار عليه أن رمسيس السادس هو فرعون موسى فعندها يُمكننا وضع الاحتمال أن "هامان" هو لقب غير رسمي (أي لا يُكتب في الوثائق الرسمية) ولكنه كان اللقب الدارج على الألسن.

وهنا يجب التنبيه ..... هناك الكثير من الآيات التي كان معناها غير واضح تماما، ولكن تقدم العلم وتتابع المعلومات قد جعلنا ننتبه لمعناها وبشكل مريح (راجع كتاب: المسائل في شبهات المستشرقين). وكذلك الحال في موضوع هامان؛ فـ كُلِّي ثقة أننا سنصل يوما لقصة هامان وقارون كما وصلنا إلى القصص الأخرى.

الفصل الثامن – كلمة يسرئار في لوحة مرنتباح

هناك خلاف في كلمة وردت في لوحة مرنبتاح إن كان يُقصد بها "بنو إسرائيل" أم يُقصد بها قوم آخرون. وللتحقق من ذلك فإنه من الضروري النظر إلى الرموز الهيروغليفية ضمن الحد الكافي. وهذا الذي سنفعله هنا؛ وهو تقديم الحد الكافي من المعلومات المتعلقة بالرموز الهيروغليفية وذلك لتحديد منطوق الكلمة ذات الخلاف.

والرموز الهيروغليفية هي الكتابة التي تم استخدامها في التعبير عن اللغة القبطية (وهي لغة أهل مصر في العصور الفرعونية). وهي رموز قديمة بدأت منذ حوالي 3500 ق.م إلى حوالي 400 ميلادية وذلك عندما قام المسيحيون الأقباط بتحطيم جميع المعابد والرموز الوثنية في مصر، وكان من نتائج هذه الثورة قيام أهل مصر باستخدام الأحرف اليونانية عوضا عن الرموز الهيروغليفية في كتابة اللغة القبطية.

والرموز الهيروغليفية هي صور (من تصوير) لأشياء، ويمكن تقسيم هذه الصور إلى التالي:

1- صور للتعبير عن صوت واحد
2- صور للتعبير عن صوتين.
3- صور للتعبير عن ثلاثة أصوات.
4- صور تكون متمما صوتيا.
5- صور وصفية تُعَبَّر عن المعاني.
6- والخطوط الرأسية.

والصور التي تعبر عن صوت واحد هي الأبجدية الهيروغليفية. فيتم مثلا التعبير عن صوت الراء في الأبجدية العربية بالحرف "ر"، في حين يتم التعبير عنه في الهيروغليفية بصورة "الفم" . وكذلك يتم التعبير عن صوت النون في الأبجدية العربية بالحرف "ن" في حين يتم التعبير عنها في الهيروغليفية بصورة "موجة البحر".

والفرق بين الأحرف (في الأبجدية العربية) والصور (في الأبجدية الهيروغليفية) أن الأحرف هي أشكال مجردة لا تُعبر عن شيء محدد ملموس، في حين أن الأشكال في الهيروغليفية هي صور تُعبر عن أشياء محددة ملموسة.

وهذه الأبجدية كانت سهلة للأقباط، فالصور كانت معروفة عندهم؛ فالفم في اللغة القبطية كانت "را" ويُأخذ من الكلمة الحرف الأول، وهكذا.

والأبجدية الهيروغليفية تتكون من 26 صورة، وقد رتبناها هنا بناء على الأبجدية العربية:

الصوت	الرسم	الصورة
أ		النسر
إ		القصبة
ب		الساق والقدم
پ /P		حصيرة
ت		رغيف خبز
ث		حبل مطوي/لجام
ج		ثعبان
چ / G		مقعد الإناء
ح		حبل مجدول
خ		مشيمة الطفل
د		يد
ذ/ز		مزلاج
ر		فم
س		ثوب مطوي
	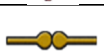	مزلاج

الصوت	الرسم	الصورة
ش		مسبح
ع		اليد والذراع
غ		بطن حيوان
ف		الثعبان ذو القرن
ك		سلة بأذن
ل		الأسد
م		البومة
	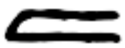	جناح طائر
ن		موجة ماء
هـ		فناء بيت
و		فرخ السمان
		رمز مجرد
ي		قصبتان متجاورتان
		خطان مائلان

(المراجع: H.Key، مكتبة الإسكندرية، ويكي–هيلوغريفية).

والأولية في الكتابة الهيروغليفية تكون من فوق لأسفل: فالسطر الأعلى فوق السطر الأسفل، والصورة العليا فوق الصورة الأسفل منها. وأما الأولوية في اليمين واليسار فإن اتجاه الرسم هو الذي يحدد ذلك، فإذا كان في النص صورة رجل أو حيوان وكان الرجل ينظر إلى اليمين فإن القراءة تبدأ من اليمين، وإذا كان ينظر إلى اليسار فإن القراءة تبدأ من اليسار، كما سنوضح لاحقا في لوحة مرنبتاح.

وهناك صور تعبر عن صوتين اثنين، ومنها: وتنطق پ ر (وتعني بيت).

وهناك صور تعبر عن ثلاثة أصوات، ومنها: وتنطق ع ن خ (وترمز للحياة).

وهذه الصور (الثنائية والثلاثية الأصوات) كانت اسلوبا في الاختصار. وللتشبيه دعونا نرمز لـ "ك ت ب" بالرمز &، وبالتالي فإن: م& = مكتب، م&ة = مكتبة، م&ات = مكتبات، ا& = اكتب، إلخ .

والصور التي تعبر عن صوتين وثلاثة كثيرة جدا، وهذه الصور كانت سهلة الاستخدام عند الأقباط؛ فهي صور لأشياء دارجة ومعروفة في لغتهم. ولكنها ليست سهلة لشخص بدأ يتعلم هذه الكتابة.

ويجب التنبيه أنه لا توجد صور لأصوات العلة (Vowels) في الكتابة الهيروغليفية. وأصوات العلة هي المَدُّ والنبرات. وللمقارنة: فاللغة العربية لها 3 أصوات مد (وتُسمى العلة الطويلة Long Vowels)، ونعبر عنها بثلاثة أحرف وهي: ا ي و. فمثلا حرف الياء في "سعيد" ليس حرفا صوتيا (فأنت لا تسمع الياء) ولكنه حرف علة وهو يؤدي إلى كسر ومد العين في "سعيد". وتوجد في اللغة العربية كذلك 4 نبرات (وتُسمى العلة القصيرة – Short Vowels) ولا يوجد لها أحرف وإنما إشارات وهي: الكسرة والضمة والفتحة والسكون. في المقابل يوجد في اللغة الإنجليزية 13 علة طويلة و7 علل قصيرة، ويتم التعبير عنها بمجموعة من الأحرف. ومن المؤكد وجود المَدَّات والنبرات في اللغة القبطية القديمة ولكن لم يكن لها صور للتعبير عنها، وأنما كانت تُعرف من خلال السليقة في اللغة.

وهناك المتمم الصوتي، وهي صورة تأتي عموما قبل أو بعد الصورة متعددة الأصوات (أي الثنائية والثلاثية). وهذا المتمم يأتي لتأكيد الحرف الأول (إذا جاء المتمم قبل المتعدد) أو الحرف الأخير (إذا جاء المتمم بعد المتعدد)

فمثلا: تقرأ پ ر ر، ولكن الحرف الأخير هو متمم صوتي ولا يُنطق فتكون الكلمة پ ر.

وهناك صور وصفية تُعبِّر عن معنى محدد: فكما في جميع اللغات فإن الكلمة قد يكون لها أكثر من معنى، ويتم تحديد المعنى في الهيروغليفية عن طريق الصُّور الوصفية. فمثلا: كلمة رع لها أكثر من معنى، ومنها: الشمس، واسم شخص، والإله رع (حسب ديانتهم). ويتم تحديد المعنى عن طريق الصور الوصفية: فإذا جاءت صورة إله بعد الاسم فالمعنى يكون الإله رع، وإذا جاءت صورة رجل فالمعنى يكون اسم رجل، وإذا جاءت صورة شمس فالمعنى يكون شمس.

وفي لوحة مرنبتاح توجد ثلاث صور وصفية نحتاج إلى شرحها:

	وهذا الرسم يتكون من صورتين: الأولى هي "عصا الرمي" (Throw Stick) وهي عصا منحنية كان يستخدمها الصيادون في الصيد، والظاهر أنها جاءت إليهم من خارج مصر، فأصبحت هذه الصورة تمثل أمرا أجنبيا. والصورة الثانية هي سلسلة جبال، وهي تمثل دولة/مملكة. وبالتالي فهاتان الصورتان معا تمثلان مملكة أجنبية. وعندما يأتي اسم قبلها (وليكن عسقلان وهو اسم ورد في لوحة مرنبتاح) فإن النص يتحدث عن مملكة عسقلان الأجنبية.
	وهذه تعني شعب/أهل، وانتبه أن الرسم يبدأ بـ "عصا الرمي" ويُقصد بها أجنبي، وصورة رجل وامرأة وتعني عائلة، ثم ثلاثة خطوط رأسية وتعني الجمع، وبالتالي يكون المقصود جمع عائلة (أي عائلات). وعندما يأتي اسم قبلها (وليكن يسرئار) فإننا نفهم أن النص يتحدث عن أهل يسرئار أو شعب يسرئار "الأجنبي".
	وهذا الرسم يمثل بذرة، وتحتها ثلاثة خطوط رأسية وتعني جمع، فيصبح معنى الرسم هو جمع بذرة (أي بذور). والكلمة التي تسبق هذا الرسم قد يكون لها أكثر من معنى ولكن المعنى المقصود للكلمة هو البذور.

وتوجد في الهيروغليفية "الخطوط الرأسية"، وقد شرحنا في الفقرات السابقة المعنى من "الخطوط الرأسية الثلاثة" والتي تعني الجمع.

وأما الخط الرأسي الواحد فهي تعني أن الصورة وصفية وليست صوتية، فمثلا: لا تعني حرف الراء وإنما هي صورة وصفية تعني "فم الإنسان".

ولكن من الممكن للخط الرأسي أن يتم استخدامه لسد الفراغ في النص (Space Filler).

وما سبق يكفي لمعرفة منطوق الكلمة ذات الخلاف في لوحة مرنبتاح. وهذه اللوحة تتعلق بقصيدة شعرية نظمها شاعر في مدح مرنبتاح وتسجيل بطولاته. وتحوي اللوحة 28 سطرا، وهي في معظمها تتحدث عن الأعمال الحربية تجاه ليبيا، ولكن السطور الثلاثة الأخيرة (25 إلى 28) تتحدث عن الأعمال الحربية في فلسطين وسوريا. ويُقرأ النص في اللوحة من اليمين إلى اليسار، وأما شكل 8.1 فهي نسخة معكوسة عن اللوحة وضعها بيرتي (Flinders Petrie) عام 1897، ولهذا فهي تُقرأ من اليسار إلى اليمين. والجزء الذي يتعلق بإسرائيل يقع في السطر 27 وقد وضعناه في شكل 8.2.

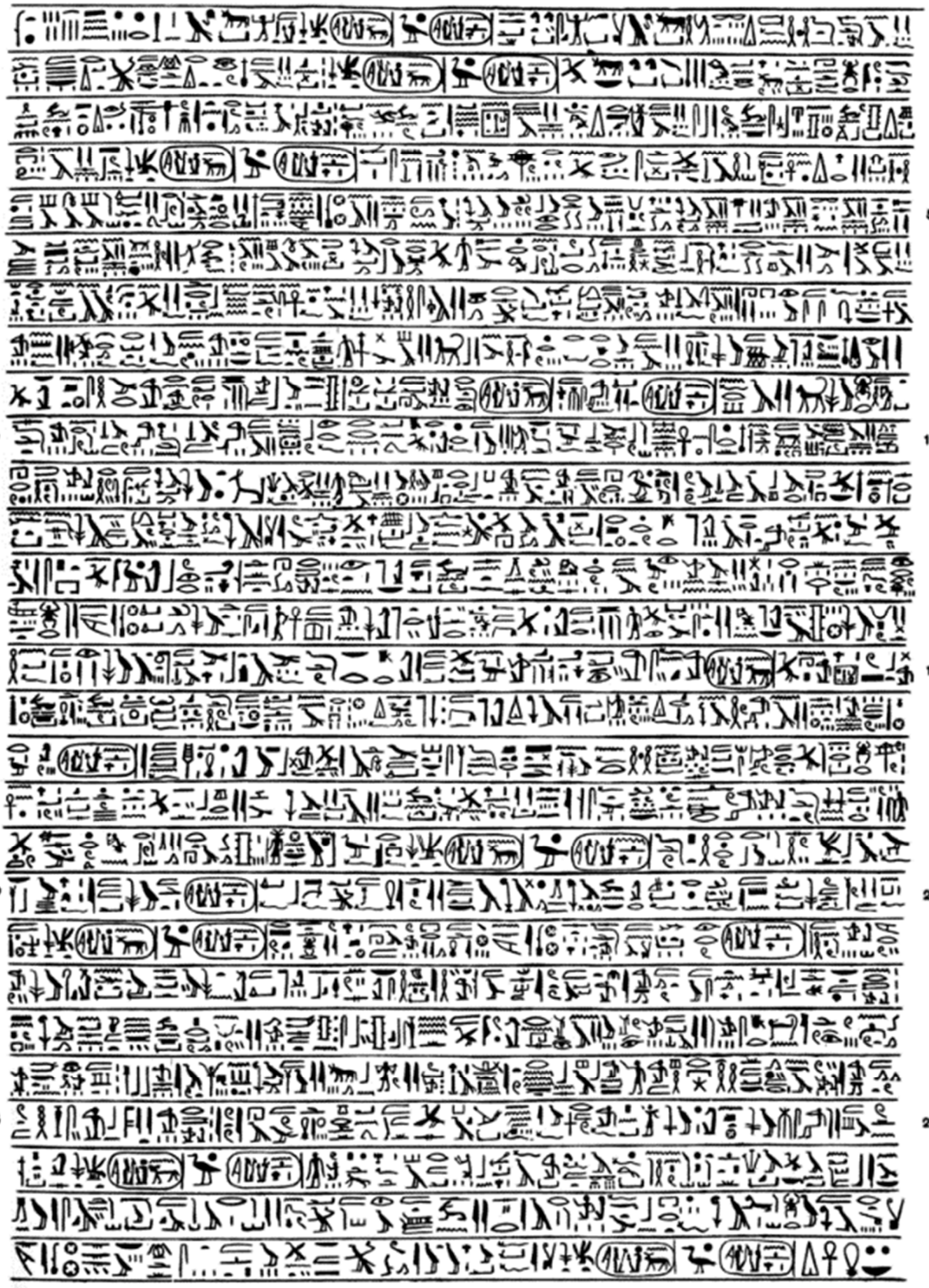

شكل 8.1: لوحة مرنبتاح المرجع: Wiki- Petrie

شكل 8.2: جزء من السطر 27 في الشكل 8.1.

وهذا الشكل يتحدث عن أهل/شعب؛ وذلك لوجود الصورة الوصفية للشعب .

لنشرح أولا العبارات بعد اسم الشعب:

الصورة	الصوت	ملاحظات	الكلمة
	ف		ف.ك.ت وتعني "دمار".
	ك		
	ت		
	غير واضح	لم أجد لهذه الصورة مرجعا يحدده، وربما كان فرخ السمان وعندها يكون الحرف "و"، ولكن ترجمات النص لم تضع له حرفا.	
	ب		ب.ن ويُقصد بها النفي (لم/ليس).
	ن		
	پ ر		پ.ر.ت وتعني بذرة، وتؤكدها الصورة الوصفية:
	ر وهو متمم صوتي للصورة السابقة لا نطق له.		
	ت		
	ف		وهذا الحرف لوحده يعني: له/لها.

وبالتالي يصبح المعنى الحرفي: أن ذلك الشعب قد تدمر ولم يعد عنده بذور. ولها تفسيران:

- أن محاصيل هذا الشعب قد تدمرت (وهذا هو التفسير المباشر).
- أن نسل هذا الشعب قد انتهى (وهذا هو التفسير المجازي).

لنحدد الآن اسم ذلك الشعب:

المرجع: Wiki-M.Stele

الصورة	الصوت	ملاحظات
	ي	
	س	
	ي	لو أن الخطين كانا طويلين فلربما تم اعتبارهما سدا للفراغ، ولكن الخطين يظهران كضربتين في النص. وغلبة الظن عند الأثريين أن هذين الخطين يُمثلان حرف الياء (مع أن الخطين غير مائلين).
	ر	
	إ	
	أ	
	ر	
	خط رأسي لسد الفراغ.	

وبالتالي تصبح **الكلمة الأساس** هي: "ي س ي ر إ أ ر" (المراجع: غانم وزملائه، مهى حسين، Wiki– M.Stele). وكتعريف للكلمة الأساس فقد اختصرناها إلى "يَسِرِئَار"، وهذا تعريف للكلمة وليس أساسا في البحث.

الآن ... "الكلمة الأساس" ليس لها مفهوم واضح.

ولكن ... هناك شواهد على حدوث التالي (المرجع: مهى حسين):

- في بعض النقوش تأتي القصبتان (حرف الياء) لتُعَبِّر عن الصوت "أ" (أي تكون عوضا عن النسر).
- في بعض النقوش تأتي القصبة والنسر (حرفي إ أ) لتُعَبِّر عن الصوت "ع" (أي تكون عوضا عن "اليد والذراع").
- في بعض النقوش تأتي صورة "الفم" (حرف الراء) لتُعَبِّر عن الصوت "ل".

وهنا نأتي للفرضية التي تقول إن الكلمة الأساس تُنْطَقُ: يزرعيل، وفيها الافتراضات التالية:

الكلمة الأساس	الكلمة البديلة	الملاحظات
ي	ي	–
س	ز	وهذا افتراض مقبول، راجع الأبجدية الهيروفليفية في هذا الفصل.
ي	–	كثير من المراجع يُهمل هذا الحرف، ولا يوجد تبرير واضح لذلك.
ر	ر	–
إ	ع	وهذا افتراض مقبول حسب الشواهد التي وضعناها سابقا.
أ		
ر	ل	وهذا افتراض مقبول حسب الشواهد التي وضعناها سابقا.

وإذا نظرنا في أصوات العلة الممكنة للكلمة البديلة فسنجد أن منطوقها يمكن أن يكون: يزرعيل، وهو اسم معروف؛ فهو الاسم الكنعاني لمرج بني عامر. وهناك الكثير من الأثريين المصريين الذين يتَبنُّون هذه الفرضية.

وأما بالنسبة للفرضية التي تقول إن الكلمة تُنْطَقُ: "إسرائيل" فإن فيها الافتراضات التالية:

الكلمة الأساس	الكلمة البديلة	الملاحظات
ي	إ	ولا يوجد تبرير واضح لهذا الافتراض.
س	س	–
ي	–	كثير من المراجع يُهمل هذا الحرف، ولا يوجد تبرير واضح لذلك.
ر	ر	–
إ	إ	لا يوجد تبرير واضح لهذا الافتراض.
أ		
ر	ل	وهذا افتراض مقبول حسب الشواهد التي وضعناها سابقا.

وهنا يجب التنبيه أن الحروف في "إسرائيل" ليست غريبة في المنطوق القبطي، والنطق لكلمة "إسرائيل" لم يتغير عبر العصور المتعاقبة. ولهذا فإنه من المستبعد جدا أن يكون الأقباط قد نطقوا "إسرائيل" بشكل مختلف عن نُطْقِنا لها الآن.

ولهذا السبب فإننا نظن أن فرضية "يزرعيل" أقوى من فرضية "إسرائيل" لأن الأولى فيها افتراض واحد بحاجة للتبرير، في حين الفرضية الثانية فيها ثلاث افتراضات بحاجة للتبرير.

وبالطبع هناك الفرضية الثالثة وهو أن "الكلمة الأساس" كانت تُعَبِّر عن قبيلة بدوية في شرق الأردن والتي بدأت تتضرر من كارثة العصر البرونزي (وقد بدأت هذه الكارثة منذ عهد مرنبتاح)، وأن هذه القبيلة قد بدأت تُغِير على خطوط التموين والمواصلات للدولة المصرية، وأن مرنبتاح قد ضربهم الضربة الجامدة. وهذا هو السبب الذي لم يتم ذكر هذه القبيلة سابقا ولا لاحقا.

ومهما كانت الافتراضات الموضوعة إلا أننا نستطيع القول وبكل ثقة إنه لا يوجد دليل صريح واضح أن هذه الكلمة تعني "إسرائيل". وبالتالي نستطيع أن نقول إن الحل الذي وضعناه لمعضلة رمسيس (والتي شرحناه في الفصل الأول) لا يتعارض مع النص الموجود في لوحة مرنبتاح.

والنقطة الرئيسية هنا أنه من المستبعد جدا أن يكون خروج بني إسرائيل قد تم قبل عهد مرنبتاح (للقرائن التي وضعناها في الفصل الأول والثالث)، وهذا يتطلب القول إن لوحة مرنبتاح لم تذكر بني إسرائيل، وإنما قوم آخرون.

والهدف من هذا الفصل هو التأكيد أن ارتباط الكلمة المذكورة في لوحة مرنبتاح بـ "إسرائيل" ليس صريحا وأنه من الممكن جدا أن يكون الاسم لشعب آخر في فلسطين أو شرق الأردن.

الفصل التاسع – مومياء خعمواست

تحدثنا في الفصل الأول عن الأمير "خعمواست" وأنه كان أحد المُحْتَمَلين أن يكون فرعون موسى. وضمن البحث عن أخبار خعمواست فقد وجدت وقتها أن مومياته لم يتم العثور عليها. وهناك خبر عن مومياء تم اكتشافها عام 1852 وأن اسم خعمواست مسجل عليها، وقد فُقِدَت هذه المومياء لاحقا. ولكن النظرة الغالبة عند الأثريين أن هذه المومياء لم تكن لخعمواست وإنما لأحد "عجوله" المقدسة، فقد وضع خعمواست سُنَّةً في عهده (ككاهن أكبر) بتحنيط العجول "المقدسة" التي نَفَقَت، ودفنها في ضريح مهيب في احتفال كهنوتي كبير .

وضمن البحث فقد انتبهنا لأمر ومن المناسب التنويه له، ولكن لنبدأ القصة من أولها:
كما ذكرنا في الفصل الثالث فقد ساءت الأوضاع الاقتصادية في عهد الأسرة العشرين (أسرة رمسيس الثالث) إلى أن تجرأ اللصوص على انتهاك حرمات القبور الفرعونية المقدسة، وذلك منذ عهد رمسيس التاسع. وفي عهد رمسيس الحادي عشر اسْتَقَلَّ الكاهن الأكبر في طيبة بحكم الصعيد. والظاهر أنهم انتبهوا لعذر فتح لهم منجما كبيرا من الذهب، فقد اتخذ الكاهن قرارا حقق فيه عدة أهداف :

- فقد قرر حماية المومياوات الفرعونية من اللصوص بأخذها من أضرحتها وتجميعها في أضرحة محددة يُمكن للحرس حمايتها.
- ومن أجل عدم إغراء اللصوص بالمحاولة، فقد تقرر تجريد جميع المومياوات من المجوهرات والتوابيت الذهبية (والتي لم يتمكن اللصوص من سرقتها لثقلها) والأثاث الثمين،، والتي ذهبت بدورها إلى خزينة الكاهن!!

وهذا الذي حدث، فقد تم إخراج المومياوات من توابيتها الثمينة وتم تجريدها من الجواهر. وأما الفراعنة فقد وضعوهم في توابيت بسيطة، وأما غير الفراعنة (من ملكات وأمراء وأميرات) فقد وضعوهم بلا لفائف ولا توابيت ومكشوفين في الغرف.

وللدلالة على ذلك فقد اكتشف الأثريُّون الضريح kv35 (شكل 9.1) لـ أمنحوتب الثاني (والذي توفى حوالي عام 1400 ق.م) والذي حوله الكاهن إلى ضريح جامع للمومياوات. وقد وجد الأثريون 9 مومياوات فيه ومنها مرنبتاح في تابوت بسيط في الغرفة ت. وأما في الغرفة ث فقد وجدوا ثلاث مومياوات عراة بلا توابيت: طفلًا وشابةً وعجوزًا --(The boy, the young lady, and the elder lady). وتم التَّعرف على الشابة والعجوز (وذلك بعد ظهور علم الجينات): فالشابة هي أم توت.عنخ.أمون وهي زوجة أخناتون، وهناك خلاف إن كانت هذه الشابة هي الملكة نفرتيتي أم الملكة كِيا. وأما العجوز فهي الملكة تيي أم أخناتون. وأما الطفل فلم تُعرف هويته حتى الآن.

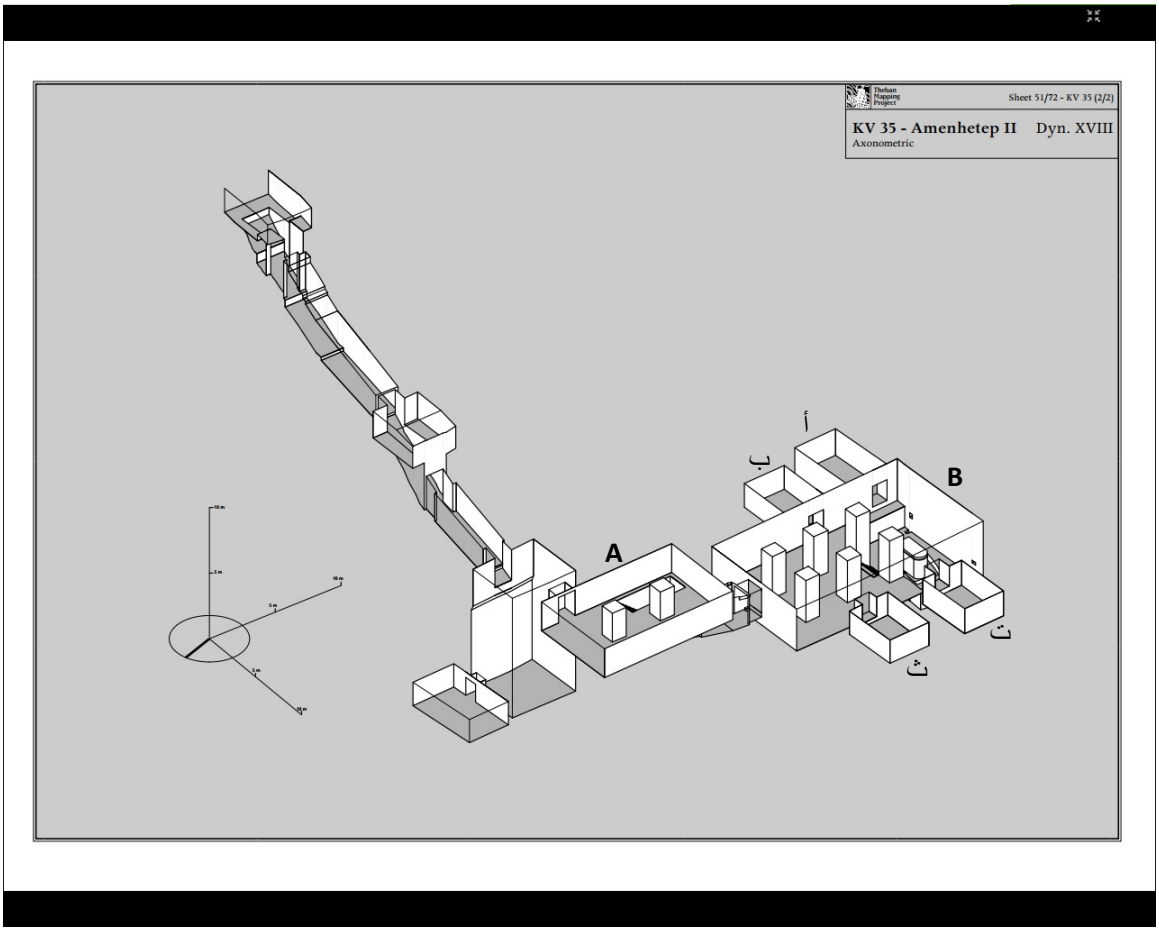

شكل 9.1: رسم 3D لضريح KV35 – المرجع: TMP–B

وأما هذه الكنوز الهائلة التي حصل عليها الكاهن الأكبر من ذهب وفضة وأثاث فإنه تم استخدامها واستهلاكها. وأحد الأمثلة على ذلك أن الأثريِّين قد اكتشفوا ضريح الفرعون بسوسنس الأول (أحد فراعنة الأسرة 21) وهو ضريح في دلتا النيل وقد نجا من سطوات اللصوص، وانتبه الأثريون أن تابوته هو تابوت مرنبتاح. والظاهر أن الكاهن قد استولى على تابوت مرنبتاح وأهداه إلى بسوسنس.

الآن ... تم اكتشاف الضريح KV35 عام 1898، ونزل إليه الأثريون بضوء الشموع ودخلوا إلى القاعة A وتفاجأوا بوجود جثة ملقاة فوق قارب صغير على الحائط في القاعة (المرجع: Anubis–B). وهذا كان منظرا عجيبا، وللوهلة الأولى ظَنَّ الأثريون أن هذه جثة لِصٍّ تعارك مع رفاقه فقتلوه وتركوه هناك. ولكن ثبت أن هذه الجثة هي مومياء (شكل 9.2). وللأسف فقد سطا اللصوص على المكان وأخذوا القارب وتركوا عظام المومياء مبعثرة على الأرض وذلك في عام 1901. وعلى غلبة التخمين فإن هذه العظام قد تم جمعها في صناديق وتم حفظها في مخازن المتحف المصري.

شكل 9.2: مومياء القارب The Mummy on the Boat

المرجع: Anubis-B

وسنضع هنا نقطة انتباه:

شكل 9.3 هو جزء مكبر من وجه المومياء، وعلى يساره جزء مكبر من تمثال خعمواست (المرجع: wiki-km2). ونقطة الانتباه أن صاحب المومياء ربما كان يتباهى بإرسال شعره الطويل إلى الجانبين ولهذا تُركت في التحنيط. وكذلك الحال في تمثال خعمواست .

وهنا تأتي الأسئلة التالية:

- هل هذه الملاحظة صحيحة، وهل الذي يظهر في التمثال هو شعر خعمواست؟
  لست متأكدا وإنما الانطباع عندي كما وضعته هنا.

شكل 9.3

- إذا ثبت أن هذه الملاحظات صحيحة فهل هذا دليل أن مومياء القارب هو خعمواست؟
  بالتأكيد لا، وإنما هي نقطة انتباه جديرة بالتساؤل والنظر.

والدعوة هنا إلى مسؤولي المتحف المصري أن ينظروا إلى الصناديق في مخازنهم لعلهم يكتشفوا صندوق هذه المومياء، فحتى لو لم تكن هذه المومياء لخعمواست إلا أن لها قصة تستحق أن يتم اكتشافها وسردها.

المراجع

المراجع العربية:

الباحث العربي للمعاجم، http://www.baheth.info

موقع الأنبا تكلا هيمانوت، النص الكامل للإنجيل باللغة العربية – مقسم بالأصحاحات،

https://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/indexes/ot-chapters.html

حواس – أ زاهي والفراعنة – لغز فرعون موسى يكمن في اسم فرعون

https://www.youtube.com/watch?v=K5nFm624XMw

حواس –ب حامل الأسرار | حكايات زاهي حواس.. من هو فرعون موسى

https://www.youtube.com/watch?v=rhQPy3tNMvY

"فلسطين في الذاكرة" قرية زرعين

https://www.palestineremembered.com/Jinin/Zir%27in/Story27205.html

سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء السابع (1950)، مؤسسة هنداوي سي آي سي (2019)

https://www.hindawi.org/books/79641350/

سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، الجزء الثامن (1951)، مؤسسة هنداوي سي آي سي (2019)

https://www.hindawi.org/books/92518157/

غانم وزملائه: ضرغام غانم، عائشة التهامي، وليد شيخ العرب، تقييم لمدى صلاحية لوحة مرنبتاح كشاهد أثري على صحة رواية الخروج، (المجلد 13 العدد 1 2019)، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، جامعة الفيوم.

https://jihtha.journals.ekb.eg/article_41765_363d9c417e549e6b3fbdb1a792664b0f.pdf

محمد حماد، تعلم الهيروغليفي لغة مصر القديمة وأصل الخطوط العالمية (1991) الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مكتبة الإسكندرية، الهيلوغريفية خطوة بخطوة،

https://www.bibalex.org/learnhieroglyphs/Home/Index_Ar.aspx

مهى حسين جابر، قراءة في لوحة مرنبتاح، دراسات في آثار الوطن العربي 20،

https://cguaa.journals.ekb.eg/article_55688_0317c133ba5706e2d514e20cfdc0735c.pdf

ويكي–عامر مرج_ابن_عامر/https://ar.wikipedia.org/wiki

ويكي–هيلوغريفية، هيلوغريفية مصرية، هيروغليفية_مصرية/https://ar.wikipedia.org/wiki

المراجع الأجنبية:

Amer (Amin A. M. A. Amer) Reflections on the Reign of Ramesses VI The Journal of Egyptian Archaeology Vol. 71 (1985), https://www.jstor.org/stable/3821712?read-now=1&seq=1#page_scan_tab_contents

Anubis-A, The Theban Royal Mummy Project, XX'th Dynasty Gallery I , http://anubis4_2000.tripod.com/mummypages2/20A.htm

Anubis-B, The Theban Royal Mummy Project, Unidentified Mummies - Gallery I, http://anubis4_2000.tripod.com/mummypages2/UnidentifiedandMissing.htm

Bibliotheca Alexandrina, Hierographic Step by Step, https://www.bibalex.org/learnhieroglyphs/Home/Index_En.aspx

Cole (EDWARD JAMES MUSHETT COLE) DECLINE IN ANCIENT EGYPT? A REASSESSMENT OF THE LATE NEW KINGDOM AND THIRD INTERMEDIATE PERIOD (PHD Theses) University of Birmingham. https://etheses.bham.ac.uk/id/eprint/7624/1/Mushett_Cole17PhD.pdf
Chris_huh, oceanic basin, https://en.wikipedia.org/wiki/Abyssal_plain#/media/File:Oceanic_basin.svg
GNC, GPS Nautical Chart, G Strait of Tiran http://www.gpsnauticalcharts.com/main/sa_0801_7-g-strait-of-tiran-nautical-chart.html
H.Key, Discovering Egypt, Hieroglyphic Typewriter, https://discoveringegypt.com/egyptian-hieroglyphic-writing/hieroglyphic-typewriter/
Irsu https://en.wikipedia.org/wiki/Irsu
Narmer, Valley of the Kings - KV35, http://www.narmer.pl/kv/kv35en.htm
Pxfuel, shipwrecked ship - gordon reef, https://www.pxfuel.com/en/free-photo-erbvi
Steven Rudd, Introduction to "Steven Rudd" Book by www.bible.ca, https://www.bible.ca/archeology/bible-archeology-exodus-route-straits-of-tiran.htm
TMP-A, Theban Mapping Project, KV 35 (Amenhetep II), https://web.archive.org/web/20180802234436/http://www.thebanmappingproject.com/sites/browse_tomb_849.html
TMP-B Theban Mapping Project, KV 35 PDF, https://web.archive.org/web/20180516222248/http://www.thebanmappingproject.com/sites/pdfs/kv35.pdf
Weinstein (James M. Weinstein), The Egyptian Empire in Palestine: A Reassessment, Bulletin of the American Schools of Oriental Research No. 241 (Winter, 1981), https://www.jstor.org/stable/1356708?read-now=1&refreqid=excelsior%3A29935bf1f0f524b9d3dfb9531bde6672&seq=26#page_scan_tab_contents
Wiki- Abyssal, Abyssal Plain, https://en.wikipedia.org/wiki/Abyssal_plain
Wiki-KM1, Khaemweset, https://en.wikipedia.org/wiki/Khaemweset
Wiki-KM2, Khaemweset Statue, https://en.wikipedia.org/wiki/Khaemweset#/media/File:Khaemwaset.jpg
Wiki-M.Stele, Merneptah_Stele, https://en.wikipedia.org/wiki/Merneptah_Stele
Wiki- Pharaoh https://en.wikipedia.org/wiki/Pharaoh
Wiki- Petrie, Flinders Petrie's 1897 mirror image copy of the main part of the inscription, https://en.wikipedia.org/wiki/Merneptah_Stele#/media/File:Petrie_1897_plate14.png
Wiki-PH Papyrus Harris I https://en.wikipedia.org/wiki/Papyrus_Harris_I
Wiki-Psu, Psusennes I, https://en.wikipedia.org/wiki/Psusennes_I
Wiki-RIII, Ramesses III, https://en.wikipedia.org/wiki/Ramesses_III
Wiki-RIIIPic, Ramesses III's mummy, https://en.wikipedia.org/wiki/Ramesses_III#/media/File:Ramses_III_mummy_head.png
Wiki-RVI, Ramesses VI, https://en.wikipedia.org/wiki/Ramesses_VI
Wiki-RVIPic, Ramesses VI's mummy, https://en.wikipedia.org/wiki/Ramesses_VI#/media/File:Ramses_VI_mummy_head.png
Joel Forman, THE USE OF THE TERM "PHARAOH" IN THE BIBLE, https://jbqnew.jewishbible.org/assets/Uploads/431/jbq_431_formanpharaoh.pdf

مؤلفات سابقة للمؤلف

السلسلة الإدارية:

إدارة الابتكار (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الأول .

حسن الاستماع وإدارة الحوار (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الثاني.

منهج الإبداع (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الثالث.

مهارة الربط والتحليل المنطقي (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الرابع.

تقييم الفعالية والكلفة والمخاطر (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الخامس.

منهج التطوير (2016) السلسلة الإدارية – الجزء السادس.

إدارة المعرفة (2016) السلسلة الإدارية – الجزء السابع.

إدارة التميز (2016) السلسلة الإدارية – الجزء الثامن.

السلسلة الفكرية:

أصل الإنسان (2016) السلسلة الفكرية – الجزء الأول.

ذو القرنين وأهل الكهف (2016) السلسلة الفكرية – الجزء الثاني.

الهلال بين الرؤية والحساب (2017) السلسلة الفكرية – الجزء الثالث.

الفلسفة الألفية ومنهج المقاربة (2018) السلسلة الفكرية – الجزء الرابع.

تحليل الأدلة والقرائن (2019) السلسلة الفكرية – الجزء الخامس

المسائل في شبهات المستشرقين (2019) السلسلة الفكرية – الجزء السادس

سلسلة أقوام وقصص من القرآن:

موقع سدوم قوم لوط ومدين قوم شعيب (2019) – الجزء الأول.

الدير في البتراء وأهل الكهف (2019) – الجزء الثاني.

قوم صالح وأصحاب الحجر قومان مختلفان مكانا وزمانا (2019) – الجزء الثالث.

ملاحظة: بعض الكتب السابقة يمكن تنزيلها بصيغة الـ pdf من العنوان التالي:
omr-mhmd.yolasite.com